معركة العلمين

السيد فرج

الكتاب: معركة العلمين

الكاتب: السيد فرج

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

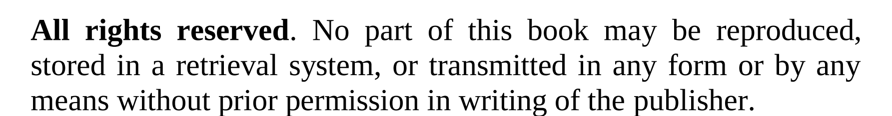
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

فرج، السيد

معركة العلمين/ السيد فرج

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٠١ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٤ – ١٧٢ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٧٣٨٤ / ٢٠٢١

معركة العلمين





غاية الدراسة

إن الغاية من دراسة معركة العلمين، هي استعادة ذكرى معركة تاريخية جرت في بلادنا، وأحدثت تأثيرا بليغا في مجرى الحرب العالمية الثانية، بل يجزم أكثر من مرجع عسكري أنها كانت نقطة التحول في تلك الحرب، ونهاية البداية لمرحلة الانقضاض الألماني.

وقد نشرت " الأهرام " في شهر ديسمبر عام **١٩٦٦** الرسائل الثلاث الممتعة المتبادلة بين الرئيس جمال عبدالناصر والمارشال مونتجمري، والتي قال فيها الرئيس للمارشال:" إن كثيرين هنا يقدرون الأهمية التاريخية لمعركة العلمين، ولدورك الممتاز في قيادتها، والآثار البعيدة التي ترتبت على النصر فيها ".

***

وقد أثارت معركة المعلمين – في حينها، وبعد سنوات من انقضائها – عدة أسئلة وقضايا في مقدمتها:

١– هل تعد معركة العلمين نقطة التحول في الحرب العالمية الثانية ؟

٢– أكانت " معركة مصر " – كما أطلق عليها – أم كانت معركة ليس لمصر فيها ناقة ولا جمل ؟

٣– ما كان الهدف وراء معركة العلمين ؟ هل كان التوسع الاستعماري لأحد الطرفين ؟ هل كان فتح البحر المتوسط ؟ هل كان الهدف:

السويس؟

٤- هل جاءت معركة العلمين بجديد في فن الحرب عامة، والحرب الصحراوية خاصة ؟

٥- ماذا كان أثر القائدين في المعركة ؟ وما أسرار اشتهار روميل ومونتجمري ؟!

٦- هل بقيت لمعركة العلمين - بعد سنوات - قيمتها، وثمرات عملياتها العسكرية، ودروسها المستفادة ؟

***

وإلى جانب الدراسة سنقدم ثلاث خرائط:

(١) خريطة الحدود المصرية الليبية.

(٢) خريطة معركة علم حلفا.

(٣) خريطة معركة العلمين الكبرى (على الغلاف).

كما نقدم صورا لقادة هذه المعركة الحاسمة من معارك التاريخ.

معركة العلمين.. هل كانت نقطة التحول في الحرب العالمية الثانية؟

" إن العدو الآن في قبضة يدنا، وهو على وشك الدمار.. لقد أضحى النصر النهائي قريب المنال "

مونتجمري

سنوات كثيرة انقضت على معركة العلمين..

وهي المعركة التي دارت على ثرى مصر بين قوات "الحلفاء" وقوات "المحور"، وكانت معركة كاملة وفاصلة اندحرت فيها القوات الألمانية والإيطالية، وجلت عن شمال أفريقيا، وانتقل زمام الحرب – لأول مرة – إلى يد بريطانيا وحلفائها.. وبهذا كانت معركة العلمين نقطة التحول في الحرب العالمية الثانية، وكانت – كما وصفها ونستون تشرشل –: "بداية النهاية".

بدأت معركة العلمين في ليلة الرابع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ بهجوم قوي منظم من الجيش الثامن، بقيادة "الجنرال" مونتجمري، على القوات الألمانية والإيطالية – بقيادة الفيلد مارشال روميل، وكانت هذه القوات متحصنة خلف المناطق الملغمة ضد المصفحات، على مسافة ٦٠ ميلا من الإسكندرية. وانتهت المعركة يوم ٤ نوفمبر بهزيمة تامة لجيش المحور.

فقد الجيش الألماني والإيطالي – في معركة العلمين – ١٠,٠٠٠ قتيل وجريح و ٣٠,٠٠٠ أسير و ١٠٠٠ مدفع، و ٥٠٠ دبابة.

وخسر الجيش الثامن ١٣,٠٠٠ جندي و ٤٥٠ دبابة.

كتب الكتَاب من رجال الحرب والسياسة والتاريخ عن معركة العلمين، من زوايا ووجهات نظر متعددة، كذلك سجلت أحداثها ووقائعها السجلات الرسمية ودوائر المعارف، وظهر ما يشبه الإجماع على أنها تدخل في عداد المعارك الكبرى في التاريخ، وذلك لما اجتمع لها من حشود هائلة من الرجال والعتاد والأسلحة، وما ظهر فيها من صور جديدة للحرب – وبخاصة الحرب الصحراوية – كبثَ الألغام في مواجهة المدرعات والمشاة، وضرب الطائرات لخطوط المواصلات، والتركيز الشديد لنيران المدفعية على مواقع معينة..

كما أن آثارها في الموقفين العسكري والسياسي كانت بعيدة المدى، فقد أحدثت تأثيرا معنويا بليغا لدى الجيوش والشعوب، وقضت على الرهبة التي كانت تتقدم الهجوم الألماني المروع..

كانت حددت معركة العلمين أمد الحرب ومسرحها الأخير فيأوروبا، ونقلت الثقة والأمل من معسكر المحور إلى معسكر الحلفاء، وفصلت في شأن اشتباك كبير كان الغرض منه السيطرة على البحر المتوسط وقناة السويس..

وكانت الحرب العالمية الثانية تشغل في ذلك الوقت ثلاثة مسارح رئيسية:

- مسرح الحرب الألمانية الروسية الذي انتهى فصله الأخير بهزيمة الألمان في ستالينجراد، وتراجعهم المرَ حتى تم استسلامهم في برلين.
- مسرح الحرب الأمريكية اليابانية الذي وضعت نهايته القنبلة الذرية على هورشيما.
- مسرح الحرب في البحر المتوسط الذي قررت مصيره معركة العلمين، وتحول إلى الجبهة الثانية، حيث أنزل الحلفاء قواتهم على الشاطئ الفرنسي، وتابعوا زحفهم إلى برلين.

كذلك ترجع أهمية معركة العلمين – بالنسبة لمصر – إلى أنها جرت على أرض مصر، وكانت " السويس " هي هدف المتحاربين..

وقد حركت هذه الحرب أذهان المصريين ووجدانهم، وأكدت الأهمية الاستراتيجية لموقع مصر وقناة السويس، وأثارت الأمل والعزم في أن يكون لشعب مصر السيطرة الكاملة على أرضه وقناته.

لقد جاء الغريمان يقتتلان على أرض لا يملكها أحدهما، ونقلا النزاع إل بلد مسالم، وأفرغا حمولتهما من الشحناء والبغضاء والنار والحديد.. ثم دارت دورة الزمان، ومضى التاريخ في تطوره المحتوم، وذهب المنتصر والمهزوم، وحمل المستعمر عصاه على كاهله ورحل.. وسلمت مصر، وعزَ جيشها، وانتصرت ثورتها، وتأكدت سيادتها.

مقدمات المعركة:

في ١٠ يونيو عام ١٩٤٠ أعلنت إيطاليا الحرب – إلى جانب ألمانيا

واليابان – ضد إنجلترا وأمريكا وحلفائهما، وخطب موسوليني زعيم إيطاليا في تلك المناسبة فقال:

" لقد قضي الأمر، وأحرقنا بمحض إرادتنا الجسور التي خلفنا. وإني أعلن على رؤوس الأشهاد أن إيطاليا لا تنوي جرَ الشعوب التي تجاورها إلى نزاع.. فلتسمع سويسرا ويوغوسلافيا وتركيا ومصر واليونان.. "

وفي اليوم التالي تحركت طائرات الطرفين، وبدأت مناوشات الدوريات على منطقة الحدود بين مصر وليبيا، وصدر أول بلاغ رسمي من مركز قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط باحتلال الإنجليز لقلعتي كايوتزو ومادلينا، بعد ضربهما بقنابل الطائرات.

وتقدمت القوات الإيطالية إلى السلوم، وأغارت الطائرات على سيدي براني ومرسى مطروح والإسكندرية.. وبدأت حرب الصحراء المصرية، من أجل السيطرة على البحر المتوسط وقناة السويس.

وكانت الحدود بين مصر وليبيا قد رسمتها اتفاقية الحدود المعقودة في القاهرة في ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥، وتبدأ من نقطة على ساحل البحر بين السلوم (المصرية) والبردية (الليبية)، وتسير الحدود جنوبا في خط متعرج يمر بين واحتي سيوة وجغبوب، ثم تستقيم على خط طول ٢٥ إلى العوينات.

ويمكن تلخيص الحرب في الصحراء الغربية، حتى حدثت معركة العلمين، في ست جولات رئيسية:

١– بدأت الجولة الأولى، في الثالث عشر من سبتمبر سنة ١٩٤٠، بزحف القوات الإيطالية، بقيادة المارشال جرازياني، وانتهت باحتلال

الإيطاليين موقع سيدي براني.

٢- وبدأت الجولة الثانية في اليوم السابع من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٠ بهجوم القوات الإنجليزية، بقيادة الجنرال ويفل، الذي استطاع في خلال عشرة أيام أن يهزم القوات الإيطالية، ويقصيها خارج الحدود المصرية، ويحتل ولاية برقة. وأعلن ونستون تشرشل لمجلس العموم والشعب البريطاني أنه " في خلال ثمانية أسابيع حدثت تلك الحملة التي ستدرس فيما بعد كنموذج للفن العسكري. فالجيش الإيطالي في ليبيا - البالغ مائة وخمسين ألفا - قد أسر أو أبيد، ووقعت في أيدينا ولاية برقة ". كما أنه وصف ويفل بأنه من رجال الحرب " ذوي الحصافة والجسارة والإقدام ".

٣- وبدأت الجولة الثالثة في شهر أبريل سنة ١٩٤١ بزحف قوات المحور تحت قيادة الجنرال روميل، القائد الألماني الذي خلف المارشال جرازياني في القيادة العامة. واستطاع روميل في سبعة أيام أن يدفع القوات الإنجليزية أمامه سبعمائة ميل في هزيمة دامية وانسحاب مرَ.. من بنغازي إلى السلوم.

٤- وبدأت الجولة الرابعة في شهر نوفمبر سنة ١٩٤١ عندما شرعت القوات الإنجليزية في الزحف بقيادة الجنرال كننجهام، وتحت إشراف القيادة العامة للجنرال أوكنلك - الذي خلف ويفل - حتى بلغت طبرق، وتولى القيادة الجنرال ريتشي الذي استطاع رفع الحصار عن طبرق، وتقدم بسرعة في ولاية برقة حتى وصَل إلى بنغازي مرة ثانية.

٥- وبدأت الجولة الخامسة في شهر مايو سنة ١٩٤٢ بهجوم هائل

لقوات المحور، تحت قيادة المارشال روميل فهزم القوات البريطانية في بير حكيم والغزالة، ثم استوالى على طبرق ودخل الحدود المصرية واستولى على مرسى مطروح وفوكة والضبعة، ووصل إلى العلمين.

وقد ظهرت في تلك العمليات براعة القائد الألماني روميل وجسارته، فقد كانت القوات الإنجليزية متفوقة في عدد

الدبابات بنسبة ٧ إلى ٥، ومتفوقة أيضا في المدافع بنسبة ٨ إلى ٥، ومتفوقة في الجو.

وأجمعت أغلب المصادر على أن تلك العمليات كان النصر فيها للقائد، وأصبح اسم روميل يثير فزغ الجنود والقادة الإنجليز. وقالت جريدة التيمس اللندنية " إن قواتنا كانت تواجه قوات متفوقة في القيادة، وإنها نازلت جيشا مظفرا هزمها هزيمة مروعة ". وقال تشرشل: " أمامنا خصم جرئ ماهر، هل لي أن أقول إنه قائد عظيم! "

٦- ثم بدأت الجولة السادسة في العلمين..

كانت القوات البريطانية تتراجع متعجلة مذعورة أمام الزحف الألماني الخاطف. ولم يجد الجنرال أوكنلك بدًا من تنحية الجنرال ريتشي، وأن يتولى هو بنفسه قيادة العمليات، ثم راح يبذل جهده لتفادي الكارثة والابتعاد عن معركة حاسمة، ويواجه أخطر صور الهزيمة، ولهذا قرر الجلاء بسرعة عن مرسى مطروح، في حين دفع الطائرات البريطانية إلى تعطيل زحف روميل، وضرب خطوط المواصلات.

وانتقل القتال بعد مرسى مطروح إلى فوكة ثم الضبعة، وتراجع الإنجليز

عدة أميال أخرى حتى وصلوا إلى الجبهة التي اختارها الجنرال أوكنلك، ليقف الزحف..

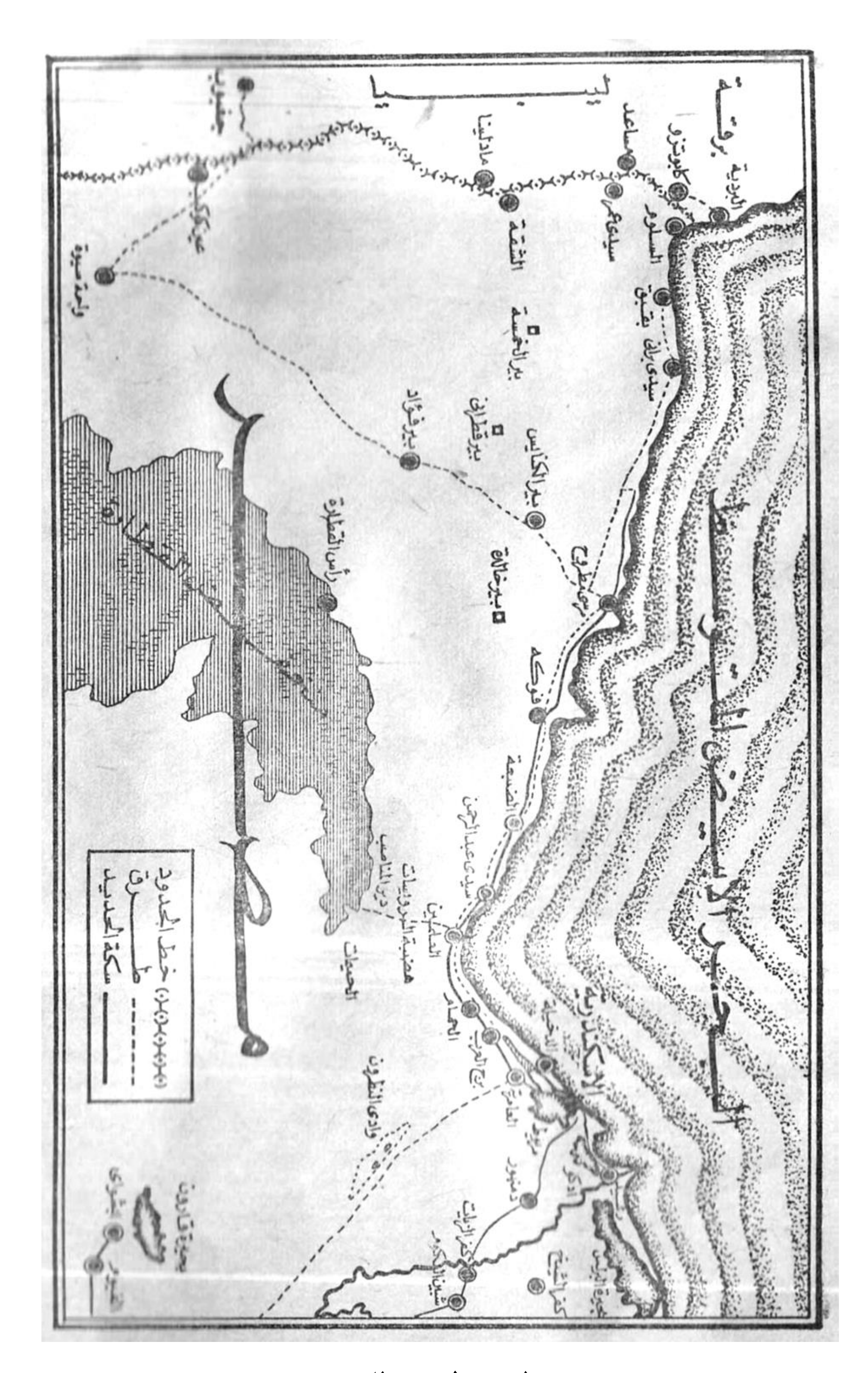
وقد تم ما أراده فعلا، إذ وقفت طبيعة الأرض إلى جانبه، وأعطته موقعا دفاعيا يناسب احتياجه العاجل مناسبة لا نظير لها.

وهذه المنطقة تقع بين الساحل – عند بلدة العلمين – وبين منخفض القطارة، وتضيق إلى ناحية الشرق على شكل يشبه عنق الزجاجة.. وفي هذه الساحة حدث التوقف، وتغير الموقف، وثبت الإنجليز، وتعطل الألمان.

تولى مونتجمري قيادة الجيش الثامن في ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٢، وقد وجده على خط طوله ٣٥ ميلا من الشمال إلى الجنوب، وموقعه من البحر بالقرب من تل آل عيسى إلى قرية الحميمات. وكان الجيش يشكو من عجز في الدبابات الفعالة والمدافع المضادة للدبابات، وكان قد فقد ثقته في القيادة العليا. أما جيش المحور – وبالرغم من تفوقه في التسليح – فقد كان ينقصه المشاة التي يعتمد عليها وكذلك وسائل النقل، وكانت ترهقه صعوبات التموين بسبب الخسائر البحرية الجسيمة على خط الاتصال الطويل من نابول إلى طرابلس وبنغازي.

* * *

قام روميل بهجوم في ليلة الحادي والثلاثين من أغسطس، وقد اخترق جبهة الفرقة الثالثة عشرة داخل القطاع الجنوبي، ولكنه عجز عن الاستيلاء على موقع علم الحلفا، وبعد قتال دام سبعة أيام اضطرت قوات المحور إلى التراجع بعد خسائر جسيمة في الأرواح والعربات.



الحدود المصرية الليبية

وكانت نية مونتجمري الأصلية تتجه إلى هجوم على القطاع الشمالي بأربع فرق مشاة، وبعد تأمين منفذ – عبر ألغام العدو المضادة للدبابات – تتحرك فرقتان مصفحتان لاحتلال موقع عبر خط تموين المحور، ولكنه نظرا للحالة التدريبية للقوات البريطانية عدلت الخطة، وتقرر اتخاذ مواقع دفاعية لاستهلاك أسلحة المحور، في حين يقوم المشاة بالإستعداد لمواجهة المشاة، وفي الجنوب كان على الفرقة الثامنة القيام بهجوم جانبي لشغل انتباه القيادة الألمانية ومنعها من الالتفات إلى قطاع الشمال، وهو القطاع الرئيسي.

وقد اتخذت إجراءات مدروسة للوصول إلى مفاجأة العدو، عن طريق إقناعه بأن الهجوم الرئيسي سيشن من الجنوب. وبدأت القوات الجوية سلسلة من الغارات الجوية بالنهار والليل على مطارات المحور حتى نجحت في منع السلاح الجوي الألماني من الطيران.

ويلاحظ أن سلاح الطيران البريطاني كان قد وصل في أكتوبر إلى السيطرة التامة على الجو.

وفي يوم ٢٣ أكتوبر – وفي الساعة التاسعة وأربعين دقيقة مساء – فتح أكثر من ألف مدفع بريطاني النيران على مواقع مدفعية المحور متجهة ناحية القوات الأمامية.. وفي ضوء القمر تقدمت أربع فرق خلف الستار، وكانت قد سيطرت على معظم أهدافها قبل الفجر. واحتلت فرقتان مصفحتان موقع " المطرية " من خلال الممرين اللذين قام سلاح المهندسين بتطهيرهما من الألغام، وبعد نجاح محدود من الفرقة الثامنة صدرت الأوامر بتأجيل الهجوم إلى ما بعد ٢٥ أكتوبر.

ثم توالت أيام من القتال الصعب المحير، وقد تمكن الجيش الثامن من التغلب على كل الهجمات المضادة التي قامت الدبابات الألمانية بها، وعلى أقصى اليمين هاجمت الفرقة الأسترالية التاسعة – إلى الشمال نحو الساحل – بنجاح كبير في الليالي المتتالية من ٢٥ إلى ٣١ أكتوبر، وجذبت هذه المفاجآت المحلية كل الاحتياطي الألماني إلى القطاع الشمالي بالقرب من الساحل، وتركت المشاة الإيطاليين دون مساعدة.

في ذلك الوقت كان مونتجمري قد أعاد تشكيل قواته عن طريق سحب قوات ووضعها بالاحتياطي، وفي ليلة ١ – ٢ نوفمبر هاجمت الفرقة النيوزيلندية الثانية المواقع الإيطالية بالغرب، ونجح الهجوم، وتغلب على هجمات العدو المضادة للدبابات، وفي اليوم الثاني ظهرت علامات تراجع العدو، وفي ليلة ٣ – ٤ نوفمبر أعد هجوما سريعا واستطاع الدخول إلى خط " تل العقاقير " ضد مقاومة لا تذكر، ونجحت هذه الحركة في عزل القوات الألمانية في الشمال عن الفرق الإيطالية في الوسط والجنوب. وفي الصباح التالي أرسلت فرقة للمطاردة، وكانت القوات الألمانية تنسحب على الطريق الساحلي تحت هجوم من الجو، تاركة القوات الإيطالية بدون وسائل نقل، فوقعت في أسر الجيش الثامن بسهولة.

وكانت معركة العلمين – بعد هذا الإنتصار الحاسم – نقطة البداية لتقدم الجيش الثامن في غزوة خلابة انتهت بالقضاء على قوات المحور في أفريقيا، ونقل المعركة إلى أوروبا، حيث تم فتح الجبهة الثانية.

هل كانت معركة العلمين " معركة مصر " ؟

عندما تحرجت الحالة الدولية في سنة ١٩٣٨، وظهرت نذر الحرب في أوروبا، أخذت كل دولة تقدر موقفها، وتعد عدَتها وفق ما تقتضيه سياستها ومصالحها، حيث لم يعد مستطاعا – في ظروف حرب عالمية – أن تبقى دولة بمنأى عن الحرب وأحداثها ونتائجها.

وقد كان واضحا أن للصدام بين ألمانيا من ناحية وإنجلترا وفرنسا من ناحية أخرى لن يقف عند حدود هذه الدول، فإن أوروبا كلها كانت مشتركة في الصراع أو متأهبة له، كما نشأت جبهة لكل فريق تؤازره، وتستعد لخوض المعركة إلى جانبه.

ووضح أن ألمانيا وإيطاليا واليابان تجمعها سياسة معادية لفرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة، كما وضح أن الاتحاد السوفيتي يتحفز للقيام بدور خطير، وهكذا أصبح واضحا أن الحرب ستكون شاملة ومتعددة الميادين.

وقد تتبعت مصر الحالة الدولية منذ أن تحرجت، وأخذت تراقب أحداثها وتطوراتها، ولا ريب أن اهتمام مصر بتطورات الأزمة الدولية يرجع إلى توقع اشتراك إنجلترا من ناحية، واحتمال دخول إيطاليا الحرب من ناحية أخرى.وكانت مصر إلى جانب ذلك معرضة بحكم موقعها الجغرافي للإغارات الجوية، ولبعض نتائج المعارك البحرية، ولعمليات كانت منتظرة الوقوع بسبب قناة السويس. وقد رأينا في السنوات التي سبقت الحرب

كيف تحول البحر الأبيض المتوسط إلى مسرح للمناورات البحرية والجوية، فلا يمتد الوقت به حتى يصبح ميدان المعارك الحاسمة.

وفي مصر الممر الرئيسي الذي يربط الشرق بالغرب، وطريقا بريطانيا إلى أجزاء الإمبراطورية، هما قناة السويس التي تؤدي إلى الهند، وطريق القاهرة المؤدي إلى الكتاب.

كما كانت مصر مرتبطة ببريطانيا بمعاهدة لندن سنة **١٩٣٦** التي تنص المادة السابعة منها على أنه " إذا اشتبك أحد الطرفي في حرب فإن الطرف الآخر يقوم في الحال بإنجاده بصفته حليفا " وذلك مع مراعاة أحكام المادة العاشرة التي نصها:

" وتنحصر معاونة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر " في حالة الحرب، أو خطر الحرب الداهم، أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها، في أن يقدم إلى صاحب الجلالة الملك والإمبراطور داخل حدود الأراضي المصرية، ومع مراعاة النظام المصري للإدارة والتشريع، جميع التسهيلات الممكنة والمساعدة التي في وسعه، بما في ذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات ".

وكان واضحا أن البحر المتوسط سيكون أحد ميادين الحرب الرئيسية إذا اشتركت إيطاليا في الحرب إلى جانب ألمانيا ضد إنجلترا وفرنسا.

وقد كان البحر المتوسط " تفاحة الخلاف " الشهيرة بين إيطاليا وفرنسا – كما تنبأ بذلك بسمارك قبل قرن من الزمان – ومنذ أن تفتحت نفس حكام إيطاليا فجعلت السيادة على هذا البحر فكرة إيطاليا

الرئيسية، ومحور سياستها، وهدف حكومتها وشعبها – وبخاصة عندما تحركت أطماع موسوليني لإقامة إمبراطورية إيطالية – كانت الصحف الإيطالية تتحدث عن "البحيرة الإيطالية" و "بحرنا"، وأن " إيطاليا سجينة البحر المتوسط، وأن سجانيها يحتفظون بمفاتيح البحر في جبل طارق والسويس"!

وكانت خطب رئيس إيطاليا ذات طابع خاص يحمل علامات التهديد والوعيد، وتلوَح دائما بنذر المستقبل، فيتلقاها الشباب الفاشيستي بصيحة راعدة: " تونس. كورسكما. السويس ".

وعندما بلغ مقياس الخطر نهايته خاطب موسوليني رجاله فقال: " إننا لمستعدون اليوم استعدادا ما بلغناه قط، برا وبحرا وجوا، ويسرني أن أراكم لم تتغيروا.. فهل أنتم ثابتون؟ " فيردون بقوة: " نعم "! " وعلى استعداد للطاعة! ".. " نعم ".. ومستعدون أن تقاتلوا ؟ نعم، نعم! إذن سيروا مع روما في الأيام المقبلة، إن الزحف لم ينته.. وما لأحد أن يوقفه! "

ثم قال موسوليني إن الحرب لازمة لحياة الأمة، وأنها خير مجدد لشباب الشعوب، وإنها منذ سنة **١٩٣٥** من الصناعات الوطنية الإيطالية!

ولما أعلنت الحرب لم تشترك إيطاليا فيها، ولكن وقفتها المحوطة بالغموض، والمنطوية على خطر لا يعرف مداه ولا موعده، قد سببت إرباكا وتعطيلا لخطط الحلفاء، وتأثيرا في توزيع قواتهم، وتوجيه دفتهم، فاحتجزت فرقا من الجند لها قيمتها في أوقات شديدة الحرج والدقة، انتظارا لما يكشف عنه الغد من نوايا إيطاليا، وبذلك أصابت إيطاليا

بصمتها ما عجزت عنه بضجيجها! ووقفت الدول المجاورة لها في حيرة وجزع لا تستطيع بسببهما أن تكشف عن نواياها الحقيقية، فبقيت على حذر وانتظار مر..

فلما تتابعت حوادث الحرب، وانتهى أمر فرنسا، وجدت إيطاليا الساعة المناسبة لحمل السلاح، فأعلنت الحرب في ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠، وقال موسوليني: لقد قضي الأمر، وأحرقنا بمحض إرادتنا الجسور التي خلفنا، وإني أعلن على رؤوس الأشهاد أن إيطاليا لا تنوي جر الشعوب التي تجاورها إلى نزاع، فلتسمع سويسرا ويوغوسلافيا وتركيا ومصر واليونان..

ودخلت إيطاليا الحرب في ١٠ يونيو عام ١٩٤٠.

وفي ١٢ يوليو اتخذت مصر القرار التالي:

" مصر تحترم التحالف، وتحفظ العهد، وتبذل في أراضيها كل ما تطلبه الحليفة من معاونة، ولا تشترك في الحرب إلا إذا اعتدت عليها إيطاليا ".

وفسرت الاعتداء بملي يلي:

١- إذا توغلت الجنود الإيطالية في الأراضي المصرية مبتدئة.

٢- إذا ضربت المدن المصرية بالقنابل.

٣- إذا حدثت إغارات جوية على مواقع الجيش المصري.

والذي حدث هو أنه فور إعلان إيطاليا الحرب بدأ الاشتباك فعلا بين القوات البريطانية والقوات الإيطالية على الحدود المصرية. وفي نفس اليوم

- ١٠ يونيو عام ١٩٤٠ – صدر أول بلاغ رسمي من مركز قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط يعلن احتلال الإنجليز لقلعتي كابوتزو ومادلينا – في ليبيا – بعد ضربهما بقنابل الطائرات، وأن القوات البريطانية أسرت مائة جندي، وأن الطائرات هاجمت الأهداف العسكرية، وضربت أنابيب المياه وخطوط المواصلات.

وكذلك أغارت الطائرات الإيطالية على السلوم وبراني ومرسى مطروح، وبدأت صفارات الإنذار تدوي في الإسكندرية، وقالت الصحف المصرية يوم ٢٤ يونيو إن صفارات الإنذار سمعت مع دوي المدافع، وإنه حدثت عدة إغارات " شردت نوم المدينة وأرتها نموذجا حينا من العدوان على المدن الآمنة "..

أي أن الحرب نشبت في مصر بغير رغبة منها أو مصلحة لها فيها.لم تكن مصر طرفا في النزاع، كما لم تكن مالكة لرشدها، أي غير قادرة على تقرير أمورها بنفسها وصنع مستقبلها بيدها.

والنزاع كان قائما بين إيطاليا وإنجلترا، كل منهما تسعى للسيطرة على الشاطئ الإفريقي والسيطرة على قناة السويس.

أي أن مركز مصر الجغرافي يجعلها ساحة من الساحات الرئيسية في الحروب العالمية، وأن الدولة التي تملك السيطرة على قناة السويس والشاطئ الإفريقي تعد قوة عظمى لها شأنها في الميزان الدولي، وفي تقرير مصير الحرب.

لم تكن مصر طرفا في النزاع، ولا كان لها دور في الحرب، وإنما جاء

بالحرب إلى مصر الاحتلال البريطاني، ورسم دور مصر معاهدة التحالف التي كانت تربطها ببريطانيا.

***

وكان السؤال:

هل تشترك مصر في الحرب ؟

وكان هناك أكثر من إجابة تحمل كل منها وجهة نظر لها شأنها:

١- وجهة نظر تقول إن مصر ليست طرفا في النزاع وليس لها صلة بموضوعه، فالصدام الذي حدث بين إنجلترا وفرنسا من ناحية، وبين ألمانيا وإيطاليا من ناحية أخرى، كان بسبب مشكلات أوروبية من ذيول الحرب العظمى.

وإذا كانت مصر قد أصبحت ميدانا للحرب فقد حدث ذلك بالرغم منها، فإنجلترا تحارب لا من أجل مصر ولكن من أجل المصالح البريطانية. وإيطاليا لا تحارب ضد مصر ولكن تحارب إنجلترا.ورفع أصحاب هذا الرأي شعارا، قاله شيخ الأزهر – الإمام المراغي – في بيان مشهور:" هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل "!

٢- وجهة نظر تقول إن مصر مرتبطة ببريطانيا بمعاهدة ١٩٣٦، وإن هذه المعاهدة تفرض على مصر مساعدة حليفتها، وإن هذه المساعدة حددت في نصوص المعاهدة " بتقديم جميع التسهيلات الممكنة والمساعدة التي في وسعه – أي وسع الحليف الطرف الثاني – بما في

ذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات ".

وكانت وجهة النظر هذه حكومية أعلنها رئيس الوزراء أمام البرلمان يوم ١٢ يونيو عام ١٩٤٠:" إن مصر تحترم التحالف، وتحفظ العهد، ولا تشترك في الحرب إلا إذا اعتدت عليها إيطاليا.. "

٣- وجهة نظر تقول بتجنيب البلاد ويلات الحرب، فإن الاحتلال البريطاني لم يسمح بأن يكون في مصر جيش وطني قوي، بل عمل الاحتلال دائما على إضعاف مصر وتجريدها من السلاح، وتقويض معنوياتها، وصدَ الحركات الشعبية المنادية بالاستقلال والحرية، وعليه فإن المهمة الوحيدة هي الإمعان في السلبية والاختفاء لتفادي الكوارث وتجنب الويلات حتى يقضي في الحرب.

وقد ظلت وجهة النظر هذه هي السياسة الرسمية للحكومة منذ توغلت الجنود الإيطالية في الأراضي المصرية حتى انتهت معركة العلمين بفوز الإنجليز في سنة ١٩٤٢.

وكان قد صدر تصريح رسمي من رئيس الوزراء يوم ٢١ أبريل عام ١٩٤٢:" لن أعمل أو أوافق أو أسلم بجر مصر إلى الاشتراك في الحرب، أو تقديم جنود من أبناء هذه البلاد، مهما كانت الظروف والأحوال ".

٤- وجهة نظر تقول لابد أن نحارب. إن الحرب هي فرصتنا. إن الحرب لازمة لإثبات وجودنا واستعادة حميتنا. كان ينادي بوجهة النظر هذه شباب مصر الطموح.

إن الحرب قائمة في مصر، فكيف تقف مصر مسلوبة الإرادة مرغمة

على أمرها، في حين يقرر الآخرون مصيرها ؟ كيف يداس الحمى، ويعتدى على الكرامة، ولا يتحرك الشعب للدفاع عن أرضه ومقدساته ؟! ينبغي أن نحارب، لا من أجل الإنجليز، ولا مساعدة لهم، ولكن نحارب المعتدين، فإذا تم لنا النصر استطعنا أن نقف في وجه الإنجليز وفي يدنا شهادة الدم المصري المراق.

إن الحرب هي الفرصة السانحة لاستعادة معنويات الشعب وصهر معدنه وتدريبه.. فقد طال بمصر الوقت في ظلال الاستسلام، وهو ما عبر عنه شوقي بقوله:

إن ورد السلم من كثرته ضيعت أظفارها فيه الأسود

ويستكمل أصحاب الرأي بدخول مصر الحرب وجهة نظرهم بأنه في حالة الهزيمة لا نخسر شيئا فإن الاحتلال البريطاني ينتهي. وقد لا يستبدل به احتلال إيطالي، وحتى إذا جدت هذا فإننا نكون قد تعودنا الكفاح المسلح، وتمرسنا بالحرب، فندخل معركة كفاح جديدة ونحن أقوى معنوية وأكثر استعدادا وأعز شرفا..

وإذا انتصرنا استطعنا أن نقنع العالم بأننا أمة باسلة لم نرتض الاستسلام، وأننا اشتركنا في صنع النصر، ومن حقنا أن نشترك في صنع السلم وفي تقرير مصير العالم بعد الحرب.

***

هذه كانت وجهات النظر التي تتردد، وكان بعضها يلمع أو يخبو مع أحداث الحرب وتطوراتها، ولكن الشعور الغالب كان ضد إنجلترا.

كان الشعب – من أعماقه – يكره الإنجليز المحتلين ويتمنى لهم الهزيمة، أو بمعنى أصح الزوال عن أرض مصر، وفي الوقت نفسه كان يخشى أن يجئ احتلال جديد، ومع هذا ارتفعت أصوات تقول: " تقدم يا روميل ".. " إلى الأمام يا روميل "، وكانت هناك دعوات لأن ينتصر روميل، لا حبا في الإيطاليين أو الألمان ولكن كراهية للإنجليز.

وكانت إنجلترا تعرف شعور الشعب وتعمل حسابه، ولهذا كانت تضغط باستمرار على القصر والحكومة، ووصل بها التحدي إلى أنها فرضت يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ حكومة موالية لها، حتى تضمن سلامة مصالحها، ونشطت مخابراتها، فأخذت تتابع حركات المناهضة، وتحاول أن تتكشف اتجاهات الشباب واجتماعات رجال الفكر والسياسة.

ويروي أن أحد رجال السياسة القدامى – أحمد زيور – سئل عن رأيه في الحالة فأجاب بفكاهة مشهورة: " حالة إيه يا مونشير.. شعب مصر ألماني، وملك مصر طلياني، وحكومة مصر إنجليزية "!

وقد اعتقد الإنجليز أن في مصر " نشاطا ثوريا "، وأن هناك اتصالات سرية ووساطات سياسية ترمي إلى إحداث انقلاب في مصر في الوقت الذي يشدد فيه روميل هجومه على القوات البريطانية، ولذلك كانت إنجلترا تشدد قبضتها على الملك، وتضمن حكومة ضالعة معها، وتضع الشخصيات المعروفة بعدائها في المعتقلات، وتفرض رقابة شديدة على الشعب، وتضع خططها لمدَ القتال داخل المدن والقرى، وفاقا للسياسة التي أعلنها ونستون تشرشل: " إننا معتزمون أن نقاوم إغارة العدو على

مصر ووادي النيل، وأن نصده عنهما بنفس القوة والعزم اللذين نقاوم بهما إغارته على أرض إنجلترا نفسها ".

وقد انتهت العمليات في الأراضي المصرية بانتصار الجيش الثامن في العلمين أكتوبر / نوفمبر سنة ١٩٤٢.

وكانت معركة العلمين نقطة التحول في الحرب العالمية الثانية، فانتقلت بعدها المبادأة إلى أيدي الحلفاء، واستطاع الروس في ستالينجراد أن يدمروا القوات الألمانية، وتم فتح الجبهة الثانية فيأوروبا، واتجه الحلفاء من كل جانب إلى برلين، وانهزمت اليابان أمام الولايات المتحدة صاحبة القنبلة الذرية..

وبدا النصر النهائي للحلفاء قريب المنال.

***

وبالنسبة لمصر عاد التساؤل.. هل تشترك مصر في الحرب ؟ أو بمعنى أصح: هل تعلن مصر الحرب على ألمانيا واليابان ؟ باعتبار أن إيطاليا انسحبت من الحرب.

وقال فريق: ما معنى أن تعلن مصر الحرب بعد انتهاء الحرب ؟

وكيف تعلن مصر الحرب، والحرب في النزع الأخير، في حين أنها لم تعلن الحرب، والحرب تغلي على أرضها وتذيقها من ويلاتها ؟

كيف لم تعلن مصر الحرب خلال " معركة مصر "، ويطلب منها أن تعلن الحرب خلال " معركة برلين " ؟!

وقال أصحاب هذا الرأي إن معنى إعلان مصر الحرب هو تسليم بما

ترومه بريطانيا، وإعلان لإنعدام الإرادة والسيادة.

وإذا كانت الحرب فروسية وشهامة فإنها لا تكون كذلك إذا كان الخصم واقعا على ركبتيه يلفظ آخر أنفاسه.

وقال أصحاب الرأي الآخر:

إن إعلان مصر الحرب على دولتي المحور لا يضر بمركز مصر، وهو عمل من أعمال السياسة لا الحرب.

إنه إعلان عن السير في ركب الدول المنتصرة التي ستقرر مصير الحرب، ثم تقرر بعد ذلك مآل السلم.

إنه إعلان عن أن مصر راغبة في الاشتراك في أحداث العالم ووضع خطة العالم الجديد.

***

وفي جلسة مجلس النواب المصري، يوم الاثنين ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥، ألقى رئيس الوزراء بيانا عن إعلان مصر الحرب، ذكر فيه أن وزير خارجية بريطانيا أبلغه أن مؤتمر القرم قرر عقد مؤتمر دولي في مدينة سان فرانسسكو في أبريل عام ١٩٤٥، وقرر ألا يشترك في هذا المؤتمر إلا الدول التي تكون قد أعلنت الحرب على المحور قبل أول مارس، وأن إعلان الحرب يتيح لهذه الدول – فور اشتراكها في هذا المؤتمر – أن تكون من الأعضاء المؤسسين للهيئة الدولية المزمع تكوينها بعد الحرب، لكي تخلف هيئة الأمم.

وقال رئيس الوزراء إنه استأنس بآراء الكثير من ذوي الرأي والشأن والزعماء ورؤساء تحرير الصحف وزعماء المعارضة في المجلسين، فكان رأي الأغلبية الكبرى – التي تكاد تكون إجماعا – هو ضرورة دخول مصر في الحرب.

وكان الرأي أن تصدر الحكومة " مرسوما ملكيا " باعتبار حالة الحرب قائمة بين مصر وحكومة الريخ وإمبراطورية اليابان، وبالرغم من أن هذه الحرب حرب دفاعية لا تقتضي دستوريا موافقة البرلمان إلا أن الحكومة رأت أن ترجع إلى البرلمان قبل صدور القرار.

وكان السؤال الذي يتردد هو: ما الذي تفيده مصر من إعلان الحرب؟

وكان الرأي هو أن طلب مصر دخول مؤتمر الصلح – حتى تستطيع الدفاع عن مصالحها وحقوقها – يقتضي إعلان الحرب، وكان السفير البريطاني قد حمل إلى رئيس الوزراء أن " الحكومة الإنجليزية ستبذل خير معونتها ليتحقق لمصر أن تمثل على قدم المساواة في جميع مفاوضات الصلح التي تمس مصالحها مباشرة. " وزيادة على ذلك فإن حكومة جلالة الملك لن تتدخل في أثناء هذه المفاوضات في مناقشة أي شئ يمس مصالح مصر المباشرة دون تبادل الرأي مع الحكومة المصرية ".

وكان هذا التصريح – في حينه وبالنسبة لظروف ذلك العهد – يعتبر أملا كبيرا بل كسبا مفرحا.

وختم رئيس الوزراء بيانه بقول للنواب: إننا لا نجني شيئا من بقائنا

على انفراد وفي عزلة عن سائر الدول، بل الخير كل الخير في التعاون الدولي والإشتراك في المؤتمرات الدولية. هذه هي السياسة الإيجابية المفيدة لمصر المحققة لأمانيها القومية، أما سياسة العزلة والانفراد فسياسة سلبية عقيمة، لا خير فيها لمصر على الإطلاق، إن لم يكن فيها الضرر كل الضرر لآمالنا ومطامعنا في الحياة الرفيعة الكريمة.

إني واثق كل الوثوق من قراركم في هذا الموضوع، وآمل أن يكون إجماعيا أو شبه إجماعي. ولا يمكن أن تقول مصر إنها تعرف حقوقها وواجباتها وتقدر مصالحها، ثم لا تتأثر إلا بمؤثرات ترجع في كثير من الأحيان إلى استخدام كل الظروف لتحقيق أدنى الشهوات وهي شهوة الوصول إلى الحكم.

وذكرت مضبطة مجلس النواب أن النواب استقبلوا بيان رئيس الوزراء بإعلان مصر الحرب على ألمانيا واليابان " بتصفيق حاد متصل ".

وبعد دقائق قليلة سمع دويَ طلق ناري في دار البرلمان.. لقد لقي رئيس وزراء مصر مصرعه عقب إعلانه الحرب. وفي ٢٦ فبراير صدر مرسوم من مادة وحيدة بما هو آت: " تعتبر المملكة المصرية في حالة حرب مع الرايخ الألماني وإمبراطورية اليابان اعتبارا من اليوم ".

وعندما أحرز الحلفاء النصر النهائي في برلين، أرسل مجلس النواب المصري برقية لمجلس العموم البريطاني تقول:

" باسم مجلس النواب المصري يسعدني أن أبعث إليكم وإلى مجلس العموم بأخلص التهنئة وأصدق الإعجاب، التهنئة على النصر المؤزر

الحاسم الذي نلتموه على العدو المشترك ألمانيا، والإعجاب بأنكم كسبتم الحرب بأخلاقكم وعدالة قضيتكم قبل أن تكسبوها بأسلحتكم وقوتكم، فصفاتكم من الشجاعة والثبات والمثابرة، حتى في أحلك الأوقات ظلاما وأشدها حرجا، وقضيتكم العادلة القائمة على رعاية الحريات واحترام التعهدات، جعلتكم أقوى شكيمة من العدو المسلح المتغطرس، وأكسبتكم عطف العالم وتأييده وتقديره، إذ جددتم فيه إيمانه القديم بأن الحق والحرية واستقلال الأمم كبيرها وصغيرها من عناصر الحياة الأساسية التي قد تهزم حينا ولكنها تتغلب دائما آخر الأمور.

فلكم تهنئتنا وإعجابنا وصداقتنا الدائمة ".

وجاءه الرد التالي:

"أرجو أن تتقبلوا خالص عبارات الشكر مني ومن جميع أعضاء مجلس العموم لرسالتكم البرقية، المعبرة عن تهانئكم الرقيقة التي وقعت من نفوسنا أجمل وقع ونالت أكمل تقدير.

وأرجو أن تبلغوا مجلس النواب تحياتنا القلبية ".

***

وعقب " النائب إسماعيل صدقي " على إعلان البرقيات المتبادلة بقوله: انتهت الحرب كما كان متوقعا لمصلحة الديموقراطية، وإذا كانت الجهود الحربية لا تزال تبذل في بعض الميادين النائية فما من شك في المصير الذي يحتمه التفوق الهائل القوي عند حلفائنا وأصدقائنا مما يتضافر في خدمته علم بارز وإرادة قوية ووطنية حارة.

ومصر لا تريد شيئا أكثر من أن تعامل وفقا لهذه المبادئ، وإذا كان استحقاقها لهذه المعاملة هو النتيجة اللازمة لحضارتها المتدرجة في الصعود، ولمجدها التاريخي الذي لا يباري، فكم يكون أبلغ وألزم قياسا على الخدمات وعلى التضحيات التي بذلتها بسخاء في سبيل نصرة القضية المشتركة مما تردد ذكره في كل المناسبات، وأصبح من الحقائق المسلم بها لدى الجميع.

إن مبادئ الحرية هذه هي التي حفزت مصر إلى الانضمام لميثاق الأطلنطي والتمسك بأحكامه، حتى في سان فرانسسكو، حيث طلب مندوبنا أن يكون الميثاق هو الأساس الذي يقام عليه صرح السلام المرتقب. والواقع أنه لن يتحقق سلام إلا حيث تشعر كل أمة أن لها الحق في أن تحيا حياة عزة وكرامة وفي أمان من العدوان.

ومن أجل ذلك أقول إنه قد آن الأوان – وقد زال كابوس المشاغل الحربية في الناحية التي تتصل بمصر – أن تتفاهم مصر وحليفتها على تلك المسائل.

ولا يخفى أن من حسن الطالع أن القيود التي كبل بها استقلالنا لم تكن من جانب الحليفة إلا احتياطا لطوارئ العدوان. أما وقد اتخذت الدول بهذا الشأن ما يكفل إلى أبد الآبدين القضاء على كل عبث بالسلام فمن الهين أن يتم التفاهم، وأن تحصل مصر على حقها الكامل في الحرية وفي الاستقلال غير المشوب بأي قيد من القيود، وأن يكفل لها ذلك في كامل أرجائها.

***

انتهت الحرب إذن وتحقق النصر، ولكن لم يتحقق الوعد.ذلك أن الحليفة التي احترفت بذل الوعود ونقض العهود استمرت تمارس لعبتها المفضلة.

وأخذت مصر تحاول، والحليفة تحاور، ومرت عدة سنوات من الأمل والرجاء والجهاد والعناء، وبدأت المقاومة الشعبية، وأخذ شباب مصر يزمجر، وانطلقت الثورة، وقال جمال عبدالناصر: على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل..

وقد كان، وانتهى الاستعمار البريطاني لمصر، بإرادة مصر وحققت مصر – بثورها – حريتها وإرادها.

القائدان في العلمين

مونتجمري

برنارد لو مونتجمري: فيكونت أوف علمين ١٨٨٧

ضابط مشاة اشتهر باستقامته وعسكريته وإصراره المستمر على اللياقة البدنية والشباب والكفاية للقادة.قاد فرقة في فرنسا في فاتحة الحرب العالمية الثانية.قاد قوات الجنوب الشرقي في إنجلترا.تولى قيادة الجيش الثامن في شمال أفريقيا في أغسطس عام ١٩٤٢. أعاد ثقة الجنود في القيادة، وقام بتدريب واسع المدى وراء ميدان العمليات.

انتصر على ورميل في العلميين – أكتوبر / نوفمبر عام ١٩٤٢ وأخلى شمال أفريقيا من القوات الإيطالية والألمانية. عين مساعدا للجنرال أيزنهاور في عمليات غزوأوروبا، يوليو عام ١٩٤٤.

قاد الجيش ٢١ (بريطاني / كندي) في عمليات استسلام ألمانيا (مايو عام ١٩٤٥). عين رئيسا لأركان حرب الإمبراطورية (٤٦ – ١٩٤٧). عين رئيسا للجنة القيادية العليا لأوربا الغربية (٤٨ – ١٩٥١). عين نائبا للقائد الأعلى لقوات الحلفاء فيأوروبا(٥١ – ١٩٥٨).ذاعت محاضراته عن " القيادة العسكرية ومذكراته ومذكرات مونتجمري ".

روميل

أروبن روميل: فيلد مارشال ألماني   ١٨٩١ – ١٩٤٤

ضابط مشاة تحول إلى قيادة قوات مدرعة، واشتهر بأنه مدرب قدير.قائد حرس هتلر سنة ١٩٣٩   قائد فرقة دبابات – بانزر – قام بعمليات حاسمة في فرنسا مايو / يونيو عام ١٩٤٠ انتهت باستسلام فرنسا. " ثعلب الصحراء " الذي كان اسمه يثير فزع القوات الإنجليزية.

وصفه ونستون تشرشل بأنه قائد ماهر جرئ. وقال عنه أوكنلك: احترمته لشجاعته وقدرته على كل موقف.

تفادي الكارثة بعد هزيمة العلمين وسحب قواته إلى تونس.عين مساعدا لرونشتد في مواجهة الجبهة الثانية.

جرح في غارة جوية يوم ١٧ يوليو عام ١٩٤٤ اشترك في مؤامرة " التخلص من هتلر " وكان مقدرا في حالة نجاح المؤامرة أن يصبح روميل رئيسا لألمانيا.أجبر على تناول السم عقب كشف المؤامرة ومات يوم ١٤ أكتوبر عام ١٩٤٤ ألف كتاب هجوم المشاة (١٩٣٧) وكتاب " حرب بلا حقد " الذي اشتهر باسم " مذكرات روميل ".



فيلد مارشال اوكنلك

بين روميل ومونتجمري

إلى أي مدى تأثرت معركة العلمين بشخصيتي القائدين ؟

"إن هناك خطرا حقيقيا على الجنود من اسم روميل.. أناشدكم أن تستخدموا كل الوسائل لتبديد الوهم الذي استولى على عقول الجنود ".

أوكنلك

لم يلق قائدان غريمان في الحرب العاملية الثانية مثل الشهرة التي لقيها بطلا معركة العلمين: مونتجمري وروميل.

ولم يقلل من هذه الشهرة أن أحدهما فاز على الآخر، فكلاهما أحدث تأثيرا كبيرا في نفسية جنوده، وفي سير العمليات، وكلاهما أثبت تفوقه وامتيازه، ووضع قدمه ثابتة في ساحة التاريخ.

وقد جمعتهما "العلمين"، كما جمعت من قبلهما "واترلو" بين نابليون وولنجتون، فلم تقلل هزيمة نابليون من شأنه، بل يمكن القول بأن نابليون أشهر من ولنجتون، بل هو أشهر عبقرية عسكرية في التاريخ كله.

روميل

ولنبدأ الحديث عن روميل – لأنه قضى وأصبح ذكرى..

والحديث عن الفيلد مارشال أورين روميل ينبغي أن يقدم له برأي خصومه فيه، فالحكم ما شهدت به الأعداء.

كان روميل – على حد قول الفيلد مارشال ويفل – ظاهرة غير عادية، وفلتة نادرة في التاريخ العسكري.

وقد وصفه خصمه العنيد الجنرال أوكنلك بقوله: إن روميل كان قائدا فوق مستوى القادة.

وقال عنه الناقد الحربي الثقة كابتن ليدل هارت: لقد كان روميل عبقرية عسكرية، وليس يبلغ مبلغه قائدا آخر.

كان الجنرال أوكنلك – خلال معارك شمال أفريقيا – يكافح لتثبيت قلوب جنود الجيش الثامن الذين روَعهم اسم روميل وحرمهم النوم، وأخذ أوكنلك يستحث قواده ويصدر أوامره الرسمية بمقاومة الذعر والرهبة التي حلت بالجنود:

" إن هناك خطرا حقيقيا، فصاحبنا روميل أصبح ساحرا لجنودنا يتحدثون عنه ويتندرون بقدرته ومعجزاته. إن روميل ليس إنسانا فوق البشر، وإن كاب بلا ريب ممتازا وقادرا.. إنني أناشدكم أن تستخدموا كل الوسائل لتبدَدوا هذه الأفكار التي استولت على عقول الجنود، فجعلتهم ينظرون إلى روميل على أنه أكثر من قائد ألماني ".

وقد سجل أوكنلك – كقائد وإنسان – رأيه التاريخي في روميل فقال: لقد احترمته لشجاعته، إذ كان قادرا على عمل كل شئ، وكانت حروبه تمتاز بضروب الشجاعة والفروسية التي تميزت بها العصور الوسطى، ولم يعد لها أثر في أيامنا، وهذا ما جعله يكتسب احترام القادة البريطانيين، وينال محبة أعدائه قبل أعوانه.

أول الطريق:

ولد أروين روميل في سنة ١٨٩١، وأخذ طريقه إلى المعسكر في سن التاسعة عشرة، وأصبح ضابط مشاة في سنة ١٩١٢، وعرف عنه ميله إلى الضبط والربط، وتدريب المستجدين، وشغفه بالبحث في التنظيمات العسكرية في عمق وروية، كما كان موضع تقدير زملائه باحترامه التقاليد العسكرية، وتميزه بالصفات الحسنة، فلا تدخين، ولا خمر، ولا سهرات، ولا نزوات.

وقد وصفت بعض المراجع " الملازم روميل " بأنه كان شجاعا إلى أبعد الحدود، وأنه كان " متحفزا للهجوم ولا يعرف التعب ". وقد فاز بالصليب الحديدي في وقعة عرضته فيها شجاعته لرصاص العدو، فلما خرج من المستشفى بعد ثلاثة أشهر تعرض بفصيلته لضغط كتيبة مشاة أطبقت عليه من كل ناحية، ولكنه قاتلها، ثم أفلت منها بعملية انسحاب شائقة تقلد على أثرها وسام الصليب الحديدي من الدرجة الأولى.

ولما نقل الملازم روميل إلى كتيبة ورتبرج الجبلية حارب في رومانيا وإيطاليا، حيث منح وسام الجدارة الألماني – الذي يقابل صليب فكتوريا– لما أبداه من براعة في القيادة، وحذق فيما أقدم عليه من الأعمال الحربية.

ومن الحوادث المشهورة في ذلك الحين قيامه بعملية تجاه كابورنيو في أكتوبر عام ١٩١٧، فلما تم له تحقيق الغرض كان قد مشى على قدميه خمسين ساعة متوالية، وصعد سبعة آلاف قدم، وأسر مائة وخمسين ضابطا وتسعة آلاف جندي، واستولى على واحد وثمانين مدفعا.

وأصبح أروين روميل "يوزباشي" في سنة ١٩١٨، ثم صار معلما بمدرسة المشاة في درسدن خلال عامي ٢٩ و ١٩٣٩، حيث عكف على وضع كتابه المشهور الذي يعتبر حتى اليوم مرجعا ممتازا في "تكتيكات المشاة الصغرى"، فقد وضعه "أستاذ في فنه".



فيلد مارشال سير أرشيبالد ويفل

قائد حرس هتلر:

وقد اختير روميل قائدا لحرس هتلر، وكان رجلا مطبوعا على الولاء، مقدسا التقاليد العسكرية، فواتته الفرصة لدراسات عليا، وبخاصة في فاتحة الحرب العالمية الثانية، فكشف خطط الحرب الحديثة، ومرت تحت عينيه جيوش ألمانيا الحرارة في غزو بولندا، وأدرك خصائص الحرب الحديثة وأهمها التعاون بين قوات الجو والبر، وأهمية القوات المدرعة، وبخاصة إذا استخدمت في حشود كبيرة، كذلك ضرب مؤخرة العدو، فلما عين قائدا للفرقة السابعة المدرعة، أو " فرقة الشبح " –كما أطلق عليها فيما بعد – كان قد أدرك كل ما هو مطلوب منه، وأخذ يطبق نظرياته التكتيكية ويضع أفكاره وملاحظاته موضع التنفيذ.

قيادة الفرقة المدرعة:

دفع روميل فرقته المدرعة إلى الميدان، فأحرزت النصر في معركة بعد أخرى. ومن المأثور عنه غزوته الموفقة في شربورج، وعلى إثرها سلمت فرنسا. وقد أحصيت غنائم الفرقة السابعة المدرعة " البانرز " خلال المعارك في ستة أسابيع فإذا هي: **٦٨٢** قتيلا – **١٦٤٦** جريحا – **٢٩٠** مفقودا– **٤٢** دبابة.

أما خسائرها فكانت: **٩٧٦٤٨** أسيرا – **٢٧٧** مدفع ميدان – **٦٤** مدفع دبابات – **٤٥٨** دبابة وعربة مصفحة – **٤** آلاف لوري – **١٥٠٠** سيارة – **٢٠٠** عربة جر.

وكتب إلى زوجته يقول: " قامت الفرقة بهجوم على شربورج، واستولت على قلاع منيعة برغم قوة الدفاع عنها. لقد صادفت لحظات حرجة للغاية، إذ كان العدو يفوقنا في العدة والعدد نحو عشرين مرة أو تزيد، وكان لديهم فضلا عن ذلك ما بين عشرين وخمسة وثلاثين حصنا مجهزا وبطاريات عديدة، ومع هذا كله استطعنا في قوة وسرعة أن ننفذ أمر الفوهرر الخاص بالاستيلاء على شربورج بأسرع ما يمكن ".

في شمال أفريقيا:

في فبراير عام ١٩٤١ قطع روميل إجازته القصيرة حيث استدعى لمقابلة الفيلد مارشال براوشتش الذي أنهى إليه خبر تعيينه في المنصب الجديد الذي وضعه فيه هتلر، وهو " قائد قوات الفيلق الألماني في شمال أفريقيا ".

وكانت أحوال الإيطاليين في ليبيا تسير من سيئ إلى أسوأ، فأرسل هتلر فرقتين لمعاونتهم، إحداهما خفيفة والأخرى من فرق البانزر، وكانت آخر الأخبار من الميدان الأفريقي تقول إن المارشال ويفل قد استولى على بنغازي، بعد أن دمر الفرقة المدرعة الإيطالية، وأخذ يستعد لدخول طرابلس.

ولهذا كان أول ما تبادر لذهن روميل عند التقائه بالجنرال كيسلرنج – قائد القوات الجوية الألمانية في صقلية – أن طلب إليه ضرب ميناء بنغازي في الليل، ثم مهاجمة القوات البريطانية.

ومن عجب أن روميل علم أن الإيطاليين لم يطلبوا قذف بنغازي بقنابل

الطائرات لسبب خطير.. وهو أن عددا من الضباط الإيطاليين والرجال ذوي الشأن يملكون بيوتا فيها! وقد استأذنت القيادة الجوية قيادة هتلر في ضرب بنغازي، فجاءت الموافقة في الحال.. واندفعت الطائرات الألمانية تضرب بنغازي وقوات البريطانيين المتقدمة، وتدك مواصلاتهم وخطوط تموينهم.

وفي يوم ١٢ فبراير هبطت طائرة روميل في طرابلس، في حين غادر المارشال جرازياني قيادته.وقد وجد روميل متاعب أخرى في انتظاره، متاعب ليست من أعدائه ولكن من حلفائه.. فقد واجهته أخبار انسحاب الإيطاليين وتسليمهم أسلحتهم ومؤنهم وهبوط معنوياتهم إلى حد أن ضباطهم أخذوا في إعداد حقائبهم أملا في العودة إلى إيطاليا.

وقد فكر روميل بسرعة وأصدر أمره اليومي: " لا خطوة بعد الآن إلى الوراء "! وقدر أن البريطانيين لا يستطيعون التقدم ما دامت هناك مقاومة. وفي فترة الإنتظار الحرجة هذه أخذ روميل يحشد قواته، ويضع خططه، ويوطد صلته بالقادة الإيطاليين!

وبدأ زحف قوات روميل، فرأى البريطانيين شيئا جديدا، خطيرا، وتقدمت الدبابات الألمانية تأخذ طريقها عجبا، تظللها سحابة من الطائرات، وتحقق رأي روميل "أن النصر دائما للجانب الأقوى" وانسحب الإنجليز بعد قتال عنيف فقدوا فيه ألفي أسير، بينهم ثلاثة من القادة العظام: أكنور، ونيوم، وجامبير..

ولم تفطن القيادة الإنجليزية إلى غرض روميل، ولم يجل بتفكيرها أنه يجرؤ

على قطع هذه الصحراء الشاسعة مبتعدا عن قاعدته.. ففاجأتها أساليب روميل، وبعثرت خططها، وقلبت نظرياتها، فكان الارتداد السريع.

واستطاع روميل أن يطوي الصحراء في أسبوع واحد من بنغازي إلى السلوم!

بين شقي الرحى:

عندما انتصر روميل في شمال أفريقيا لم يكن أكثر من عدوه عددا ولا عدة، باعتراف تشرشل نفسه الذي صرح " أن القوات الإنجليزية كانت متفوقة في عدد الدبابات بنسبة ٧ إلى ٥، ومتفوقة أيضا في المدافع بنسبة ٨ إلى ٥، ومتفوقة في الجو!

وكان روميل يحارب بعيدا عن قاعدته، فتعرضت مواصلاته لهجمات الطائرات البريطانية التي كانت مصدر خطر كبير، في الوقت الذي شغلت فيه الطائرات الألمانية بميادين أخرى.

ولم يلق روميل من حلفائه الإيطاليين المعاونة الجادة في الوقت الخطير الذي كانت تعانيه قواته وهي تكافح بشق الأنفس لدفع العدو المتفوق في كل شئ.

ولا تستطع القيادة الألمانية العليا أن تستمع إلى طلبات روميل المتكررة في معاونته، إذ كان الميدان الروسي شغل القيادة الألمانية الشاغل، وكان الموقف خطيرا، فحجب المسرح الأفريقي عن عيون المسئولين.

وكتب هتلر إلى الفيلد مارشال روميل: في مثل الموقف الذي وجدت

نفسك فيه لا يمكن أن يكون هناك أي تفكير إلا في الصمود، وفي دفع كل مدفع وكل رجل إلى المعركة.. إن العدو – برغم تفوقه – لابد أنه يعاني نهاية العناء.. وإنها ليست أول مرة في التاريخ تستطيع قوة مناضلة أن تنتصر على حشود كبيرة..أما بالنسبة لقواتك فليس أمامك إلا أن تبصرهم بأمر واحد: النصر أو الموت.

وبدأت معركة العلمين.. وأصبح روميل بين شقي الرحى.

وفتح التاريخ إحدى صفحاته الخالدة ليسجل لأحد القادة العظام في جميع العصور ما يفعله في مثل هذا الموقف الشاذ.كان روميل يحارب في عدة جبهات:

١– القيادة العليا الألمانية التي لا تمده بحاجياته الحيوية.

٢– القيادة الإيطالية العاجزة عن معاونته.

٣– القوات الجوية المعادية التي تدمر خطوط مواصلاته ومصادر تموينه.

٤– التفوق العددي الهائل لخصومه في الرجال والطائرات والأسلحة وكافة المعدات.

كانت نتيجة معركة العلمين معروفة " سلفا ".. ولكن كان معروفا أيضا أن القوات الألمانية لن تتلقى هزيمة نهائية ويقضي عليها قضاء مبرما.

أما عن الشق الأول من هذه النتيجة فلم يكن في وسع أي قائد في الوجود منع الهزيمة.

وأما عن الشق الثاني، فقد استطاع القائد العبقري أن يمنع الدمار،

ويتفادى الكارثة، ويمرق بجيشه في الوقت المناسب بأقل خسائر ممكنة.

لقد كانت معركة ذات جانب واحد، فلما انهزمت قوات المحور كان التاريخ قد سجل أن روميل هو أعظم قائد في الحرب العالمية الثانية.

ومن مذكرات روميل عن تلك الأيام الرهيبة:

" عزيزتي لو:

إن المعركة تشتد وطأتها علينا، ولقد دفعنا حشود العدو عن مواقعنا، إنني أبذل جهدا بالغا لإنقاذ الجيش، ولست أدري هل أنجح في ذلك ؟.. قضيت الليل مستلقيا مفتوح العينين، أعمل فكري في طريقة لإنقاذ قواتي.. إننا نواجه أياما في غاية السوء.. بل أسوأ ما يمكن أن يمر بإنسان.

إن القتلى أسعد منا، فقد انتهى كل شئ بالنسبة لهم.

إنني أفكر فيك بكل حب وتقدير.. ومن يدري، فقد نلتقي مرة أخرى".

روميل

الرتب والأوسمة:

كان روميل في جميع أدوار حياته جنديا لم يستهوه شئ غير الجندية، ولم يعرف عن الجندية غير خصائصها وحدودها، فلم تكن عنده سوى بذل الجهد لتحقيق النصر أو دفع الهزيمة، ولم يخطر بباله قط أن الجناية مغنم، فعزف عن مظاهرها وأبهتها، واحتفظ بالهيبة والكرامة.

وقد خبر روميل الميدان مبكرا، وأحرز النصر كثيرا، ونال الأوسمة

والرتب بلا رغبة منه أو اهتمام، حتى إنه حين أنعم عليه بأعظم الرتب " فيلد مارشال " كان مشغولا عنها بأحداث القتال، فلم يغير علامات الكتف، وظل على حاله بعلامة الجنرال، حتى قدم له المارشال كسلرنج علامة من علامات رتبته.

وعندما استقبله هتلر في برلين وسلمه عصا المارشالية بعث إلى زوجته يقول:

"كنت أفضل لو كان أعطاني فرقة أخرى بدلا من رتبة الفيلد مارشال هذه".

المثل الأعلى:

كان روميل يعتقد أن المثل هو خير معلم.وكان يطلب من ضباطه أن يكونوا قدوة حسنة لجنودهم. ومما يذكر له أنه كان لا يترك مناسبة دون أن يناشد فيها الضباط أن يعتنوا بأنفسهم في الخاص والعام من الأمور.ويتضح ذلك جليا من الخطاب الذي ألقاه – وهو قائد المدرسة الحربية – في الخريجين وقد جاء فيه:

- كن نموذجا لرجالك، في عملك، وفي حياتك الخاصة.
- كن مرنا ورائقا، وعلم معاونيك أن يكونوا كذلك.
- حاذر من النزق والحدة وانفلات الأعصاب وارتفاع الصوت.

كان شليفن يقول: " إن القائد العام هو عقل الجيش "، أما روميل فيقول:" إن الحرب الحديثة قد اتسع نطاقها، وتعددت ميادين نشاطها،

وزادت الاختصاصات، مما يقتضي أن يكون هناك كثرة من الضباط – وبخاصة في مراكز أركان الحرب – لهم مثل صفات القائد العام وإحاطته وعزيمته، لكي تعمل جميع الإدارات بنجاح، سواء في ميدان التكتيك، أو في ساحات الإمداد والتموين ".

وروميل صاحب نظريات حربية صدرت عن عقل كبير وفكر مجرب، فقد خرج من الحربين العالميتين بدروس عامة هامة، منها:

١– أهمية تعاون الطائرات والقوات البرية تعاونا يجعلهما قوة واحدة.

٢– أهمية هجوم القوات المدرعة بقوة متجمعة كبرى.

٣– ضرورة التفكير السريع والانقضاض السريع.

٤– وضع الخطط على الأسس واقعية لا تدخلها الأوهام.

٥– ضرورة التدريب الجيد العملي الواقعي قبل المعركة.

٦– أهمية الشدة والصبر والتفاؤل.

٧– الجانب الذي يملك المدفع الأشد قوة يكون لديه السلاح الغالب.

٨– عدم التقيد بالروتين أو أقوال الأخرين وخططهم.

ويبلغ روميل الغاية عندما يجري قلمه بالسهل الممتنع، فيروي الحقيقة الحربية التاريخية: إن الجانب الأقوى هو الذي يحرز النصر.

مونتجمري

مرت سنوات على معركة العلمين دون أن تسدل ستائر النسيان على

المعركة وقائديها العظيمين: روميل ومونتجمري.لقد ثبتت الأسماء الثلاثة: العلمين، ومونتجمري، وروميل في أذهان المعاصرين، وفي سجل التاريخ.

وقد طلب المارشال مونتجمري زيارة أرض المعركة، ونشرت جريدة الأهرام – في شهر ديسمبر عام ١٩٦٦ – ثلاث رسائل ممتعة متبادلة بين الرئيس جمال عبدالناصر والمارشال مونتجمري، ووصفت " الأهرام " مونتجمري بأنه " أبرز قواد الحرب العالمية الثانية، والقائد الذائع الصيت لمعركة العلمين ".

طلب المارشال مونتجمري في رسالة أولى إلى الرئيس أن يسمح له ولبعض رفاقه بزيارة أرض معركة العلمين في مناسبة مرور خمس وعشرين سنة عليها، وكان مونتجمري – على ما يبدو – غير واثق من إمكان حصوله على هذا الإذن للقيام بهذه الزيارة، في مناسبتها التاريخية، وذلك بسبب عدم وجود علاقات سياسية بين الجمهورية العربية المتحدة وبريطانيا.

وتلقى مونتجمري رسالة من الرئيس عبدالناصر يدعوه ورفاقة إلى أن يكونوا ضيوفا على الجمهورية العربية المتحدة في هذه الزيارة.

وقال الرئيس عبدالناصر في رسالته للمارشال مونتجمري: " إن كثيرين هنا يقدرون الأهمية التاريخية لمعركة العلمين، ولدورك الممتاز في قيادتها، والآثار البعيدة التي ترتبت على النصر فيها ".

***

وإذا كان اسم مونتجمري قد ذاع وملأ الأسماع بسبب انتصاره في

معركة العلمين فإن تاريخ هذا الجندي الكبير – الحافل بعلامات البطولة – يضعه في قائمة كبار القادة في جميع الأزمان، كما أن ما أثر عنه من خلال طيبة وثقافة واسعة قد أهله لمكانة مرموقة واحترام عام.

وقد عرف عن مونتجمري أنه لا يدخن ولا يشرب الخمر، وأنه يؤمن الإيمان كله بالتمرينات الرياضية، وينام مبكرا، كما عرف بنشاطه العظيم في العمل، وبمضاء عزمه، وأنه يأخذ الأمور كلها – خاصها وعامها – مأخذا جادا.

جاء برنارد لو مونتجمري إلى الحياة في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨٧، وهو ابن الأسقف هـ. هـ. مونتجمري، من أصل إيرلندي، ودرس في مدرسة سانت بول، ثم الكلية الحربية في ساندهرست، وخدم بتفوق في أثناء الحرب العالمية الأولى، وعرف كمدرب للجنود من الدرجة الأولى بسبب إصراره المستمر على اللياقة البدنية والشباب والكفاية للقادة.

وفي الحرب العالمية الثانية تولى مونتجمري قيادة فرقة في فرنسا، ثم عين قائدا لقيادة الجنوب الشرقي في إنجلترا.

ولما ولى قيادة الجيش الثامن البريطاني في شمال إفريقيا – في أغسطس عام ١٩٤٢– أعاد الثقة للقوات المهتزة نفسيا، وبدأ سلسلة من العمليات الناجحة، ووجه عنايته للتدريب وتوضيح التعليمات للضباط والجنود وتعاون الطيران مع الجيش والاحتفاظ بإحتياطي وتركيز النيران، وبهذا البرنامج استطاع أن يهزم روميل، ويقتلع القوات الألمانية والإيطالية من شمال إفريقيا.

وقد جعل مونتجمري من نفسه إحدى الشخصيات الذائعة الصيت في زمانه وفي سجل التاريخ الحربي، وكانت آراؤه في الاستراتيجية والتنظيم الحربي موضع اهتمام.

وقد وضع مونتجمري نظرياته وخبراته في محاضرة عن " القيادة الحربية " ألقاها في جامعة سانت أندروز في **١٥** نوفمبر عام **١٩٤٥** جاء فيها:

كنت خلال الحرب أحاول أن أضع أفكاري في بوتقة التجارب، فوجدت أنه لكي تقود جيشا يجب عليك بادئ ذي بدء أن تكون واسع العلم بالطبيعة البشرية، لأن هذه هي المادة الأساسية التي ينبغي على كل قائد أن يسير غورها، ويصل إلى أعماقها.. فإذا أنت أهملت العامل الإنساني فلن تكون قائدا ناجحا.

إن الصلة الشخصية بين القائد وجنوده، كانت – ولا تزال – أحد العوامل الرئيسية المؤدية إلى النصر، فإذا توافر للقائد ثقة جنوده الكاملة وتقديرهم، فليس هناك شئ لا يستطيع أن يناله، أما إذا أضاع القائد ثقة جنوده به فقد كتب على نفسه الخسران المبين.

ولنبحث الآن الأسس التي تقوم عليها مقدرة فرد على قيادة الآخرين، وقبل ذلك ينبغي أن نعرف ما المقصود بالقيادة.

إنني أقدم إليكم تعريف القيادة بأنها: التصميم على العمل بالروح التي توحي بثقة الآخرين.وأنا أرى أن قياس مقدرة الشخص على القيادة يعرف بعاملين:

الأول: التصميم على مواجهة الرجال والحوادث التي تحيط به،

والقدرة على تجميع نفسه ورجاله بأقصى قواهم إلى غرض محدد دون أن يحوله شئ عن هدفه.

الثاني: قوة خلقه وشخصيته التي تجعل رجاله يضعون ثقتهم فيه، ومقدرته على قيادتهم للنصر.

وقد كان هناك كثيرون ذوو قدرة عظيمة على كسب ثقة رجالهم، وإني أختار منهم ثلاثة تاريخيين لنرى كيف استطاع هؤلاء أن يكونوا قادة، وكيف قادوا رجالهم، ولماذا نجحوا أو أخفقوا ؟

موسى:

وسأبدأ " بموسى "..

كان موسى قد فات سن الشباب عندما دعى لقيادة بنى إسرائيل من أرض مصر، فكانت مهمته ضخمة، إذ كانوا مستضعفين في مصر مدى أربعة قرون! وعلى الرغم من أن الجو لم يكن مناسبا لهم، فضلوا الإقامة حيث العيش الرغيد في الدلتا، ولم يقدموا على ترك هذه الأرض الطيبة، لأن الصحراء كانت تحيط بهم..

ولهذا كانت مهمة موسى جد عسيرة في حمل القوم على مبارحة مصر إلى الصحراء الجدباء حيث يعيشون في كنف المشقة والعناء، الأمر الذي يدل على أنه كان قائدا فذا ورائدا مطاعا.

وليس هناك شك في أن موسى كان قديرا، فقد قاد بني إسرائيل من مصر، وهم في حالة ميئوس منها من ناحية الصلاحية للحرب، إذ كانوا

أذلاء متذمرين، فشرع يهذبهم ويدربهم.

ويبدو أن موسى قضى ببقاء بني إسرائيل أربعين عاما في الصحراء، قاصدا بهذا أن يمرنهم على احتمال المشقة، وفي هذه السنوات الأربعين استطاع أن يؤهلهم للقتال، حتى إذا وصلوا إلى مرتبة عالية كان لهم أن يغزوا أرضا جديدة ويتمتعوا بخيراتها.

وكان موسى قاضيا حكيما، فيما كان يصح ولا يصح من أفعال بني إسرائيل.

وكان لديه رقم قياسي في النجاح العسكري، ونظرة عميقة في الطبيعة البشرية تؤهله لكسب ثقة جنوده، وأن يحرز لهم النصر. وفي الحقيقة أن خير وسيلة تجعل الجنود تؤمن بقائدها هي: النصر. ومادام القائد منتصرا فسيتبعه جنوده أينما سار.

كرمويل:

أما القائد الثاني الذي اخترته فهو: كرمويل.

وهو الآخر دخل معمعان الحرب قائدا بعد أن جاوز الأربعين من عمره، وبدأ قيادة رجاله في الحرب الأهلية على رأس ستين جنديا، وبهذه القوة حارب في " إدج هل "، وعلى الرغم من تفوق البرلمانيين في الرجال والبنادق، رأى كرمويل أن هذا التفوق لا يكون مجديا بغير عنصر أصيل هو " القائد ".

وقد شرع كرمويل يعدَ رجاله على هدى مبادئ الخاصة، وهي روح

القتال العالية، والضبط والربط، والتدريب التكتيكي الكبير.. وأيضا ثقة الجنود التامة في قائدهم.

وقد عمل كرمويل بروح جبارة تمثل بها رجاله، وكان له ثقة عجيبة بقدرته على الفوز.

لقد وضع كرمويل برنامجا لإعداد رجاله، كما وضع المبادئ اللازمة للفوز في الحرب، وعني بالروح المعنوية، روح القتال والتصميم على النصر.. وبهذه الروح قاد كرمويل فرسانه الستين، وهو كابتن، في أكتوبر عام ١٦٤٢، في معركة " إدج هل ". وبعد عامين أصبح لفتنانت جنرال نائبا للقائد العام لجيش وستستر " جيش الولايات الشرقية "، وكان يتولى قيادة الفرسان، ثم أصبح القائد غير المنازع لقوات جيش البرلمان.

وقد عرف عن كرمويل أنه شديد الحساسية، عصبي المزاج، يحب الضبط والربط الشديد والتدريب العنيف، وكان له إيمان عميق بصحة أهدافه، وثقة بمقدرته على النصر..وقد كان النصر حليفه دائما، فلم يعرف الهزيمة قط.

وعندما يكون القائد ذا أهداف حقة، وعندما يعطي جنوده النصر، فلا شئ يستطيع أن يعترض طريقه.

ومن الطريف أن كرمويل الذي نجح في ميدان الحرب لم يلق نجاحا في منصة الحكم عندما دانت له بريطانيا، فقد جرب أربعة أنواع من الحكومات، وهو الحاكم المطلق، فلم تلق إحداها نجاحا، فأصبح دكتاتورا أكثر من الملك الذي أعدم لدكتاتوريته! ولهذا انقضى نظام كرمويل بموته،

وعادت بريطانيا إلى الملكية والبرلمان.

نابليون:

أما القائد الثالث الذي أريد أن أتحدث عنه فهو نابليون.قائد تسيطر عليه الأنانية وتوجهه المطامع الشخصية.

كان نابليون – على عكس القائدين السابقين – جنديا بحكم المهنة، فتدرب في فاتحة شبابه على الجندية، وكان مرموقا في صباه، تبدو عليه علامات القيادة، كان يريد أن يحرك الأولاد عند اللعب ويقودهم، وقد وصل سريعا، وفي سن مبكرة، إلى أعلى درجات القيادة، فقاد جيشا كاملا إلى إيطاليا وهو في السادسة والعشرين من عمره، جيشا أقل عددا وعتادا مما يملك خصومه..ولم يمض عام حتى أحرز نصرا لامعا في شمال إيطاليا وأتم إخضاع أعدائه.

لقد بدأ نابليون عند توليه قيادة جيشه يدمج ضباطه وجنوده في " جوَه "، ويسيطر عليهم، ويجتذب كامل ثقتهم وإيمانهم به.. إن ثقة بونابرت بنفسه كانت خميرة الثقة العالية التي أولاه إياها جنوده.

وبجانب هذه الثقة العظمى بالنفس كان نابليون يغوص بأفكاره في شئون الحرب فيخرج بالمبادئ التي ينبغي توافرها لإحراز النصر..

كانت لديه قدرة خارقة على تبسيط المشكلات وإدراك سريع للنقط الهامة، فإذا تم له الوقوف على عناصر الموضوع، وإذا ملأ جنوده بالثقة فيه، وإذا جعل الروح المعنوية عالية، فإنه لم يكن يعرف الإخفاق ولا المستحيل!

لقد كان نابليون سياسيا، بمثل ما كان جنديا، وكان له ولع بالدبلوماسية ومرونة، ولكنه لم يستطع كبح شهواته في الغزو وميله إلى السيطرة، فطغت هذه على مقدراته الحربية، وانتهت به إلى مأساة بل إلى كارثة: في موسكو.

والآن، ترى فيم اتفق هؤلاء الثلاثة الكبار: موسى، وكرمويل، ونابليون؟..

إن الميزة الكبرى لثلاثتهم هي: إيمان الجنود بالقائد، وثقة القائد بنفسه وأهدافه..

ترى من أين للقائد هذه الثقة العظمى والقدرة على تحقيق هدفه في الحرب ؟ أظن أن ذلك راجع لمقدرته على تبسيط الموقف ودراسة لوازمه، وكيفية تحقيق هذه اللوازم المؤدية إلى النصر.أي أن لديه عقلا يعرف به حاجته، وعزما يحقق به هذه الحاجة.

إذن، فالقدرة على تقدير الموقف وتبسيط مشكلاته عامل أساسي في فن القيادة.

وكل من هؤلاء القادة الثلاثة كان على خبرة بإذكاء روح القتال العالية في جنوده، وبعث حماستهم وتركيز أفكارهم في النصر.. وهي مقدرة ترجع إلى فهم العامل البشري، وتأتي من الدراسة المتوالية والإتصال الوثيق بالجنود.

فالقائد المحنك حقا هو الذي يسبر غور جنوده، ويكون على علم بالشعور والعواطف التي تؤثر في نفوسهم، كما كان كل منهم يعرف عواطف جنوده وأفكارهم ومطالبهم.

إن القائد الذي لا يهتم بالناحية الإنسانية هو قائد فاشل.

ولا يمكن لرجل أن يقود آخرين دون أن يتفهم مشاعرهم عواطفهم ونفسياتهم، ولا يستطيع قائد – مهما كان عظيم الشأن – أن يثبت في قيادته ما لم يحرز النصر، إذ ليس ثمة خير في قائد لا ينتصر، وسرعان ما يتقلص نفوذه، وتهبط أسهمه بين جنوده. وفي هذا يقول ونستون تشرشل في دراسته الرائعة للقائد الأشهر مارلبوروه:

" إن نجاح القائد لا يتأتى من القواعد أو النماذج السابقة، إنما يتأتى من التجديد الذي توجبه الحقائق الجلية في الموقف، ومن طريقة إدارة القوات في القتال، فكل عملية كبرى في الحرب نسيج وحدها، والمطلوب هو تقدير صحيح لكل موقف.

إن الخطأ المشين حقا هو أن يجري القائد الحرب على وتيرة قائد آخر في معركة سابقة، ويتمثل بما فعله في زمن مضى وظروف لا رجعة لها ".

وهذا حق، فلا يوجد ثمة معركتان متشابهتان في كافة الظروف أو أغلبها.فكل موقف يطرأ على القائد يجب أن يعتبره شيئا جديدا يحتاج إلى خطط جديدة، ولا يجرى فيه التقليد، ولو كان تقليدا عن أشهر القادة بلا استثناء.

ويكفي أن ننظر إلى قائمة الحرب العالمية الثانية، والثقة العمياء التي وضعت في خط ماجينو.. وكانت النتيجة إخفاقا تاما – ذلك لأن المسئولين وقفوا عند نقطة معينة في حين أن فن الحرب يجري ويقفز.. فلم تعد هذه التحصينات تصلح إلا للماضي الذي لا يعود.. أما القوات

الميكانيكية والتقدم الصناعي فلا يستطيع ماجينو أن يقف في سبيلها، لكي يكسب القائد معركة لابد له من وسائل وصفات أرى في مقدمتها:

١- تفهم أصول الحرب.

٢- الوقوف على عوامل النصر الحربي.

٣- الشجاعة والصلابة.

٤- التقدير السليم.

القائد الجيد:

١- القائد الجيد هو الذي يعرف أولا: ماذا يريد ؟ يجب أن يرى غرضه واضحا، وأن يحشد لغرضه كل قواه.

٢- وهو الذي يجعل رجاله يعيشون في جو المعركة فاهمين ما يدور فيها، متنبهين لكل ما هو مطلوب منهم.

٣- وهو الذي يتيح لمعاونيه ورجاله معرفة المعلومات بقدر المستطاع أولا بأول.

٤- وهو الذي يرفض المركزية، ويجعل رجاله يعملون في التفصيلات، ولا يدع لنفسه غير التوجيهات العامة.

٥- وهو الذي يحسن اختيار معاونيه ويجيد توجيههم بمجهود يسير.

٦- وهو الذي يعني بالروح المعنوية، والضبط والربط، والاحترام الشخصي وثقة الجنود به وبأسلحتهم وهدفهم.

٧- وهو الذي يبقى في خط النار حتى يتم النصر.

٨- وهو الذي يتمعن في فهم أخلاق جنوده والشعور والعواطف التي تؤثر فيهم.

٩- وهو الذي يقود جنوده بروح قائد الفريق فيعملون متآخين لإحراز النصر المبين.

١٠- وهو الذي يستطيع وضع رجاله فيما يليق لهم، أي يضع الرجل المناسب في المكان المناسب والعمل المناسب.

وأخيرا يقول مونتجمري كلمة حكيمة للقادة " الذين يفخرون بشهاداتهم ":" لا يوجد كتاب ولا نصوص موضوعة يستطيع بها القائد أن يحرز ثقة جنوده وتقديرهم، ولكن المرجع الأساسي هو: " شخصية القائد "..

يجب أن يعرفوه جيدا، ويقدروه قدره، " ويرونه منتصرا.. فإن الجنود.. كل الجنود يحبون السير وراء قائد منتصر ".



الخطط الحربية وتفاصيل القتال

على مسافة ٦٠ ميلا غربي الإسكندرية رسمت الطبيعة مسرح الحرب الذي جرت عليه معركة العلمين بكفاية لا نظير لها، فأوقفت الخصمين وجها لوجه على جبهة طولها ثلاثون ميلا، يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب منخفض القطارة الذي لا سبيل إلى الحركة فيه.

وقرر مسرح الحرب هذا طبيعة القتال، وحدد واجهته، فلم يعد سبيل إلى حركة الالتفاف أو التوسع في العمليات، كما كان سابق العهد بالحرب الصحراوية. وبدأ دور الألغام من ناحية، وقوة النيران من الناحية الأخرى، فضلا عن دور سلاح الجو في مهاجمته خطوط المواصلات والتموين ومواقع العدو الرئيسية.

كان موقع العلمين نهاية الغزوة العسكرية الفذة التي قادها روميل، ودفع أمامه قوات الجيش الثامن مثخنة بجراح الهزيمة والاضطراب وفقدان الأمل، حتى نهض الجنرال أوكنلك من كبوة طبرق، وتولى القيادة بنفسه، وقرر عدم ملاقاة روميل في معركة خاسرة، وراح يحث قواته على الانسحاب، فاجتازت مرسى مطروح دون مقاومة، ثم تراجعت إلى فوكة، ثم الضبعة، وأخيرا ألقت عصاها عند عنق الزجاجة وضربت خيامها واستقرت.

وبهذا استطاع أوكنلك أن ينقذ الجيش الثامن من كارثة محققة، وأن يسحبه إلى أنسب المواقع للدفاع حيث يقف مطمئنا إلى جناحيه، وحيث

لا تستطيع قوات البانزر أن تقوم بمناوراتها على الأجناب، أو تمارس لعبتها المفضلة في حركات الالتفاف.

وقد كانت قوات المحور تجد وراء الجيش الثامن أملا في تطويقه وتدميره قبل أن تمتد مواصلاتها، وينفد وقود عرباتها، وتفتر سرعتها، فكان انسحاب أوكتلك اجتذابا لقوات المحور إلى معركة على غير رضاها، وإلى مواقع لا تناسب أسلوبها المفضل.

وعلى جانبي ذلك الخط الممتد من تل آل عيسى – بين سيدي عبدالرحمن والعلمين – حتى منخفض القطارة، وقف الغريمان وجها لوجه، وعمدا إلى عمليات إعادة التنظيم والاستعداد للمعركة الحاسمة.

وكان كل تأخير في الاشتباك يضر بموقف القيادة الألمانية، حيث خفت سرعة الانقضاض، وهمدت نشوة النصر، وطالت خطوط المواصلات، وتعرضت قوافل التموين والوقود لهجمات بحرية وجوية متزايدة الخطر.

ولهذا كان روميل دائب السعي للبدء في الهجوم في الشمال أو الوسط أو الجنوب، يختبر متانة الموقع، وأنواع الأسلحة، ويجرب قدارته على الخداع والانقضاض، وهكذا تعرضت الجبهة كلها لعمليات كرَ وفرَ متتابعة، وتحطمت عندها مئات من العربات والمعدات والقتلى والأسرى.

وانقضى النصف الأول من شهر يونيو على وتيرة واحدة: هجمات من جانب الألمان هنا مرة وهناك مرة، فتقابلها القوات الإنجليزية بمقاومة فعالة لتعيدها إلى خطوطها الأولى قبل انتهاء اليوم..

فإذا جاء يوم ١٤ يوليو كان الجيش الثامن قد أحبط مشروع جيش

إفريقيا الألماني الذي أراد به أن يحدث أكبر ضغط ممكن على خط العلمين، فقد زحفت الدبابات الألمانية – تؤيدها المشاة في اللوريات – بين كثبان الرمل عند تل آل عيسى في أقصى الساحة الشمالية، في حين قام الإنجليز بهجوم في الساحة الوسطى على طول هضبة تعدَ مفتاح الموقف. وكانت نيران مدافع الجيش الثامن تطلق ستارا من النيران الجهنمية على مراكز الإيطاليين ومشاة الألمان عند منحدر الهضبة، وتقيم حولها غلالة مروعة، ثم اندفع المشاة للهجوم، واشتبكت الدبابات في منازلات عنيفة.. وبعد قليل توقفت معركة الدبابات في الساحة الوسطى، واحتفظ الحلفاء بمراكزهم، وهجمت قوات المحور على هضبة الرويسات، ولم ينل أحد الطرفين كسبا من هذه العمليات، وعاد كل إلى قواعده بعد أن لحقه من الخسائر والأضرار نصيب كبير.

وفي النصف الثاني من شهر يونيو حدثت معارك الهضاب، في سبيل السيطرة على الهضاب الواقعة إلى الغرب والجنوب الغربي من العلمين. وقد اشتدت فيها معارك الدبابات والمشاة، أما الهضاب التي كان القتال دائرا بسببها فهي تل آل عيسى والمخاض والمتربة، وهي تقع في الساحة الشمالية على مقربة من الساحل، ثم الطرف الغربي من هضبة الرويسات، وهضبة دير الشين المتصلة بها أو المتممة لها، وهضبة الطاقة وهي هضبة مرتفعة مسطحة تقع على حافة منخفض القطارة، وتعد الحد الجنوبي لجبهة القتال..

وقد ظلت المعارك سجالا، يشتد فيها القتال بالدبابات تارة، وبالمشاة أخرى، وتتخذ نفس الصورة التي تميزت بها حرب الصحراء، وهي صورة

الكرَ والفرَ والقتال المتنقل بين مكان ومكان.

وقد استخدم الألمان دباباتهم في هذه الفترة استخداما جديدا، فقد وضعت وحدات منها في دشم وخنادق، واستخدمت في مساعدتها بطاريات المدفعية. والحقيقة أن تسليح الدبابات قد تطور تطورا كبيرا. والذين شهدوا فيلم "انتصار الصحراء" قد لاحظوا بغير شك ضخامة الدبابات وقوة دروعها، ولكن ذلك لم يثر دهشة الفنيين منهم بقدر ما أثارتها أنواع المدافع التي كانت تتسلح بها هذه الدبابات.

ولم تحدث في شهر أغسطس عمليات تستحق الذكر، ولم يطرأ تعديل على الموقف، فانحصر النشاط في أعمال الطائرات التي كانت قوية الجناح، شديدة الخطر على الموقف عامة، وكذلك كانت القوات البحرية دائمة العمل تجاه السواحل المصرية والليبية، لمطاردة السفن ومقاتلة الغواصات، وشل حركة التموين عن طريق البحر، فالسيطرة الجوية والتفوق البحري ضروري لقطع الإمدادات.

وفي منتصف أغسطس جاء إلى الميدان – في العلمين – رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل، ومعه بشرى الإمدادات السخية التي تدفقت من إنجلترا وبقية أجزاء الإمبراطورية، وجاء معه أيضا قيادة جديدة وخطط واسعة المدى، فقد أعلنت وزارة الحربية البريطانية تعيين الجنرال سير هارولد ألكسندر قائدا عاما للشرق الأوسط، وقد اشتهر بأنه كان آخر قائد غادر " دنكرك "، وتعيين " اللفتنانت جنرال " برنارد مونتجمري قائدا للجيش الثامن..

وبدأت مرحلة جديدة أذنت بتطور حاسم..

وحدث أول لقاء بين روميل ومونتجمري، في معركة علم حلفا..

في ليلة ٣٠ – ٣١ أغسطس قام روميل بحركة جريئة، فانقلب الميدان الهادئ إلى ساحة عمليات صاخبة، وتحركات عنيفة، وقتال مروع أطلق عليه معركة " تبة علم حلفا " التي تقف وراء منطقة العمليات في العلمين، كأنها تحمي الإسكندرية.

وكان توزيع القوات كالآتي:

قوات المحور: من الشمال (في تل العيسى) الفرقة ١٦٤ – فرقة ترنتو – كتيبة مظلات – فرقة بولونا – كتيبة مظلات – فرقة برسكيا – فرقة تريستا – فرقة أريتا – فرقة ليتوريو في آخر الخط جنوبا، وإلى الخلف وسط الجبهة وقف وراء هذه الفرق الإيطالية الفرقة ٩٠ المدرعة، وخلفها الفيلق الإفريقي بفرقتيه المدرعتين ١٥ و ٢١، وهو عنصر الانطلاق وقوة الانقضاض.

أي أن مهمة الفرقة الإيطالية كانت شغل الجبهة من الشمال إلى الجنوب للتعمية عن الهجوم الأساسي الذي يقوم به روميل على رأس الفيلق الإفريقي.

قوات الجيش الثامن: من الشمال الفرقة الأسترالية – فرقة جنوب إفريقيا – الفرقة الهندية – فرقة نيوزيلاند. وفي الجنوب إلى الخلف اللواء ٧ المدرع عند دير المخفض ولواءان مدرعان في جاب الله ومنخفض الراجل، هذا في حين سيطرت الفرقة ٤٤ على الموقف كله في وسط الجبهة، وإلى

الخلف على تبة علم حلفا، تعاونها الفرقة ١٠ المدرعة، جنوب تبة الرويسات.

وكان أهم ما فعله مونتجمري هو نقل رياسة الجيش لتكون متاخمة وملتحمة برياسة القوات الجوية، كما قرر استخدام المدفعية والقوات المدرعة بتركيز وتجمع شديدين.

بدأ روميل هجومه بثلاث ضربات ليلة ٣٠ – ٣١ أغسطس عام ١٩٤٢ في وقت واحد:

- في الشمال ضد الفرقة الأسترالية، وقد استطاعت صد الهجوم.
- في الوسط كانت الضربة أشد، فتراجعت الفرقة الهندية، ثم عادت وثبتت.
- في الجنوب كانت الضربة الرئيسية حيث اخترق الفيلق الإفريقي حقول الألغام ومرق بسرعة إلى تبتي منخفض الراجل وجاب الله. كذلك نجحت الفرقة ٩٠ الخفيفة الحركة في الانقضاض على دير المخفض.

وفي عصر يوم ٣١ أغسطس دارت القوات الألمانية إلى الشمال الشرقي متجهة نحو تبة علم حلفا، ولكن توقف الهجوم أمام نضال القوات الإنجليزية المدرعة، وخفتت قوة الهجوم على طول الجبهة بسبب التفوق الجوي البريطاني، واستمرت العمليات يومي ١ و ٢ سبتمبر في محاولات ألمانية للتقدم في مواجهة عمليات تعطيل وهجوم مضاد مبسمرة.

وفي يوم ٣ سبتمبر بدت كفة الإنجليز راجحة بفضل تعاون قوات البر والجو، وبدأ الألمان يرتدون..

وانتهت معركة علم حلفا دون تحقيق غاية هجوم المحور، وبدأت قوات الجيش الثامن تعيد تنظيمها وتستعيد معنوياتها.

وعاد الهدوء يخيم على الميدان دون أن تغمض عين، فقد كان الهدوء الذي يسبق العاصفة، وكانت التنبؤات تشير إلى موعد قريب، كما كانت طبيعة المنطقة تحدد شكل المعركة، وربما نتيجتها.وكانت العوامل الرئيسية التي تتحكم في المعركة المرتقبة هي:

١- ميدان العمليات:

يقف الجيشان المتحاربان في خطين متقابلين، وتستند القوات الإنجليزية إلى قواعد قريبة، ومن خلفها خطوط مواصلات جيدة تأتي من مختلف أجزاء الإمبراطورية وتحمل الإمدادات من الجنود والمهمات والأسلحة.

وتشعر القيادة الإنجليزية والحكومة بخطورة الموقف، وتجد أن لإمداد قواتهما بكل ما في الطوق لكسب هذه الموقعة الفريدة، وقد تعدلت القيادة، وولى أمرها قادة أكفاء تثق الحكومة بكفايتهم، وتعتمد عليهم في تحقيق هذا الغرض الكبير الذي يعدَ فاتحة أغراض الحرب النهائية.

وفي الخط الثاني تقف قوات المحور، ونصفها من الألمان، وهم رجال حرب ذوو كفاية ومقدرة، ومعداتهم من النوع الممتاز، ولكن تحطمت أعداد منها أو فقدت، ولم تسعفهم مواصلاتهم الطويلة المهددة باستكمال عددهم

وإحضار ما يحتاج إليه الموقف من أدوات وأسلحة تعطي التفوق الساحق الذي تحتاج إليه عملية كبرى فاصلة.

٢- المدفعية:

كانت المدافع أكثر الأسلحة تدفقا على الجيش الثامن، وكان الموقف يتطلب حشدا كبيرا من مدافع الميدان والمدافع المضادة للدبابات والطائرات، حتى يتمكن أحد الفريقين من تدمير دفاعات الآخر ووحداته المدرعة، وكانت كفة المدفعية الإنجليزية راجحة رجحانا ملحوظا وحاسما.

٣- الوحدات المدرعة:

حدثت عدة معارك قبل أن تصل القوات المتحاربة إلى خطوطها في العلمين، وكانت هذه المعارك من نصيب الدبابات الألمانية التي أحدثت الهزيمة للإنجليز ودباباتهم، ودفعتهم في غياهب الهزيمة الصحراوية المروعة، ولكن هذا لا يقلل من الخسائر التي تعرضت لها الدبابات الألمانية، كما أن المعارك التي حدثت في ساحة العلمين قد زادت من هذه الخسائر، وقد ذكرنا من قبل أن شحنات من الدبابات قد وصلت إلى الألمان، وأنهم تمكنوا في فترة الراحة من إصلاح بعض دباباتهم.

وفي الناحية الثانية نجد أن الإنجليز قد بدأوا عملياتهم في العلمين بقوة متواضعة من الدبابات، ثم انهالت عليهم في سيل الإمدادات أنواع جديدة أمريكية متفوقة، فأصبح لهم تفوق ملحوظ في عدد القوات المدرعة.

٤- السيادة البحرية:

لم تستطع سفن المحور – وهي سفن الأسطول الإيطالي – مساعدة

القوات البرية مساعدة كافية، وقد تعرضت للبحرية الإنجليزية في أكثر من مرة فهزمت أمامها وقل أثرها في الموقف، وقد استطاعت دول المحور أن تستخدم المياه الإقليمية الفرنسية في تونس، ولكن ذلك لم يخفف من خسائرها، كما أن خط المواصلات المديد من تونس إلى مصر كان يضعف من شأن هذه الإمدادات.

٥- خطوط المواصلات:

وقد جاء ذكر موضوع المواصلات أكثر من مرة في سياق الحديث عن عمليات الصحراء، والحقيقة أنه الموضوع الأساسي في هذه المساحات، وفي كل مرة كانت القواعد تبعد، وخطوط المواصلات تمتد، كنا نرى القوات تفقد السيطرة التامة التي لها على الموقف، فإذا ما صدمت صدمة قوية عادت أدراجها بسرعة كبيرة حتى تصل إلى قواعدها وتقصر خطوط مواصلاتها إلى أقصى ما تستطيع حتى يمكن أن تتمالك أمرها، وتنظم صفوفها، وتستعيد تفوقها.

في هذا الموقف كانت قوات المحور بعيدة عن قواعدها بنحو ٧٠٠ ميل من بنغازي، وكانت خطوط مواصلاتها المديدة هذه معرضة لهجمات جوية مستمرة، كما كانت القواعد نفسها تحت خطر الضرب من البحر والجو.

أما توزيع القوات فكان على صورة يلاحظ فيها أن الجيش الثامن كان أقل انتشارا من قوات المحور التي قسمها روميل إلى قوة مدرعة في الشمال وأخرى في الجنوب مدعمتين ببعض الألمان، وفي الوسط مشاة إيطاليون.

وقبل أن تنشب المعركة الرئيسية كانت القوات الإنجليزية موزعة على النحو الآتي:

الفرقة الأسترالية في الشمال تواجه تل آل عيسى، ومنها إلى الجنوب قليلا فرقة جنود جنوب إفريقيا، وفي الساحة الوسطى الفرقة الهندية، وفي الخلف قوات احتياطية ثم الفرقة ٥٠، ومعها الفرنسيون واليونانيون الأحرار عند دير المنسي، وفي الجنوب الفرقة الإنجليزية تواجه الحميمات، وكانت هناك قوة كبيرة سيجئ الحديث عنها عند ذكر دورها.

أما قوات المحور فكانت بالترتيب الآتي من الشمال إلى الجنوب:

فرقة البانزر ١٥، والفرقتان ١٦٤ و ٩٠ الألمانيتان، وفرقتا تريستا وليتوريو الإيطاليتان. وفي الساحة الوسطى فرقة بولونيا وفرقة أرتريا المدرعة الإيطالية، وفي الجنوب فرقة البانزر ٢١ ومشاة ألمان وفرق برسكيا وفولجور وبافيا الإيطالية.

ونلاحظ أيضا أن روميل كان يرمي من هذا التوزيع أن يترك المنطقة الوسطى من خطوطه ضعيفة، متوقعا أن يقع الجيش الثامن في خطأ مهاجمتها ومحاولة شق طريقه خلالها، فيقع حينئذ بين فرق البانزر من الشمال والجنوب!.. ولكن قيادة الجيش الثامن لم تقع في هذا الشرك، وكانت تضع من ناحيتها خطة تنطوي على الحكمة والدراية، وتحمل على المفاجأة أيضا.

فقد كان على الجيش الثامن أن يخترق خطوط العدو في أي ساحة إلى مسافة ٦٠٠٠ ياردة تقريبا في الضربة الأولى، ليجتاز حقول الألغام أو

الخنادق، ثم الاستفادة من هذه الثغرة إلى أقصى حد، ولذلك أنشئت وحدة جديدة باسم الفيلق العاشر مكونا من نحو ٥,٠٠٠ رجل، وبه أحسن أنواع الدبابات، وقد سحبت هذه القوة من ميدان القتال على إثر صد قوات روميل في خط العلمين، ووقفت جهودها على التدريب والتمرين والاستعداد خلف الخطوط بخمسين ميلا.

وفي الساعة المناسبة كان هذا الفيلق هو الصاعقة التي انقضت من خلال الثغرة، وقضت على جيش روميل. وقد نفذت هذه الخطة البارعة في الصحراء تحت ستار باهر من التخفي، ولم يكن هناك شك في أن روميل يتوقع هجوما كبيرا، بل كان يعرف ذلك جيدا، وقد كانت كل الدلائل تنطق بذلك.. ولكن أين يقع هذا الهجوم ؟ ومتى ؟ وكيف يقع ؟ فكل هذه الأشياء كانت خافية.

وقد كانت طائرات الاستكشاف الألمانية ترصد أعمال الفيلق العاشر، وتنقلها إلى القيادة التي كانت تتوقع ألا يحدث الهجوم المنتظر قبل أن يترك هذا الفيلق مكانه ويشترك في العمل..

ولكن ما حدث كان مفاجأة حقا، فقد تحرك الفيلق العاشر ليلا تاركا خلفه المعسكرات خالية من الجنود، ولكنها مليئة بالدمى والأجسام الهيكلية التي كانت تمثل الدبابات والعربات والجنود في صورة متقنة. فلما حدث الهجوم فعلا كان مفاجأة تامة، فالجيش الثامن هجم في وقت غير متوقع، ولم يهاجم النقطة الضعيفة كما كان منتظرا، ولكنه هاجم أقوى ساحة في الميدان.

وكانت الخطة تبدأ بوابل قوي من قنابل الطائرات، وعاصفة راعدة من نيران المدفعية، لتحطيم الدفاعات، ثم هجوم المشاة ومعها المهندسون، لتنظيف الطريق، وأخيرا تكون الجولة النهائية للمدرعات، وبذا كان كل شئ في ذلك الهجوم مفاجأة لقيادة المحور في الوقت والطريقة والجهة والقوة المنقطعة النظير.

المعركة:

بدأت المعركة في الساعة التاسعة والنصف تماما من صباح الجمعة ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢، فعلى طول المواجهة كانت المدافع الإنجليزية مبثوثة بحساب مدفع كل ٢٣ ياردة، وكانت العمليات قد بدأت في الليل، واختيرت ليلة قمرية ساطعة الضوء.

وفي الدقيقة المحددة انطلقت أفواه المدافع مرة واحدة تقذف قنابلها المدمرة كالوابل محدثة ستارا شديدا عنيفا من النيران، واستمر الوابل على أشده عشرين دقيقة، وأخذ يتكرر من وقت لآخر، وفتحت قوات الحلفاء ثغرة في حقول ألغام المحور.

وقد وصف الميدان بأنه شعلة من نار القنابل المتفجرة والأنوار الكاشفة والأغراض المشتعلة بالنيران من ساحل البحر إلى منخفض القطارة..

وفي الصباح حمل البرق إلى أنحاء العالم البلاغ الذي أصدرته قيادة الشرق الأوسط عن الهجوم، وقد جاء فيه " هجم الجيش الثامن، تؤيده قوة جوية كبيرة، فنشب قتال عنيف اشتركت فيه مقاتلات قسم الصحراء

التابع لجيش الولايات المتحدة بالشرق الأوسط، وقامت في الوقت نفسه قوات الحلفاء البحرية بغارة على مراكز المحور الساحلية عند مرسى مطروح.

وفي الساعة العاشرة من صباح ٢٣ أكتوبر تقدمت المشاة في الساحة الشمالية. وفي فجر اليوم التالي بدأ الاختراق في حقول الألغام لشق الطريق للقوات المدرعة، واستمر العمل هادئا وفي حماية المدفعية، فلما كانت ليلة ١-٢ نوفمبر انتهت المرحلة الأولى وبدأت العمليات.

وكان تعاون الجيش والقوة الجوية وثيقا جدا في المعركة.. لم تكن هناك قيادتان، أو كما قال الجنرال مونتجمري:" سيكون الجيش الثامن والقوات الجوية التي تشدَ أزره كتلة واحدة، فكلاهما يعمل لتنفيذ خطة واحدة، فلم تكن هناك خطتان إحداهما للبر والأخرى للجو.. وهذا مصدر قوتنا العظيمة ".

فعلى طول الرقعة وعمقها ابتداء من سبتمبر حتى ابتداء الهجوم كانت القوة الجوية تدق مواقع المحور الخلفية وخطوط مواصلاته ونقط التموين والمطارات، ثم أخذت تحمل على العدو عند ابتداء المعركة. وسجلت رقما قياسيا في عدد عملياتها التي اشتركت فيها قاذفات القنابل الخفيفة والمتوسطة وطائرات القتال، فأصابت عربات الذخيرة، ونسفت مستودعات الأسلحة، وسجلت إصابات في مدافع الميدان وسيارات النقل، وشبت الحرائق، وسكنت بعض مراكز الدفاع، ووجهت الطائرات من قاذفات القنابل همَها إلى الأهداف المجاورة للثغرات التي فتحت في حقول الألغام، لمساعدة القوات البرية على شق طريقها.

وكانت الغواصات تعمل بنشاط كبير على طول الشاطئ لإعاقة الإمدادات من البحر ومنعها، حتى إن المراكب التي خرجت من الموانئ الإيطالية أو اليونانية أغرقت أو ارتدت.

وفي أثناء المعركة البرية قام الأسطول بإغارات متواصلة على المراكز الساحلية بواسطة سفن الجيب، وهي زوارق طوربيد سريعة صنعت حديثا في المصانع الأمريكية.

وكان نشاط المحور الجوي ضيق النطاق، وكان دفاعيا، فقد انهزمت طائراته، ولم يعد لها نفوذ في سماء المعركة.

ومنذ يوم ٢٣ أكتوبر أحرز السلاح الجوي البريطاني سيطرة تامة، فقام بحملات عنيفة وهجوم ساحق على مطارات المحور، وخطوط مواصلاته، ومواقع المدفعية، ونقط تجمع القوات المدرعة وجنود المشاة.

انتهت المرحلة الأولى من معركة مصر – كما قدمنا – بتقدم جنود المشاة، ثم تبعها المهندسون، فإن الأرض التي تكتسحها المشاة يجب أن تنظف من الألغام قبل أن تصير آمنه لمرور المدرعات.. فالألغام للدبابات كالأسلاك للمشاة، وقد كانت تدفن تحت سطح الرمل بمجموعات وفواصل مختلفة، وكانت تكتشف بآلات كهربائية تشبه المكانس ذات الأيدي وبأجهزة متشابهة.

وقد عمل مهندسو الجيش الثامن في الليل مدة أسبوعين، وفي الأسبوع الأول من المعركة كانوا يعملون تحت الخطر وبين المقذوفات والويلات، وقد كانت مهمتهم عسيرة، فإن فن وضع الألغام قد وصل إلى تقدم كبير،

وكانت العملية تتطلب احتراسا وافرا وبحثا دقيقا، ولكن المهندسين نجحوا، وفرغوا من مهمتهم بسرعة، وأزاحوا الموانع والمصايد، وفتحوا الطريق للقوات المدرعة.

وفي ٢ نوفمبر فرغ المهندسون من أعمالهم، وانتهت المرحلة الأولى من مراحل المعركة، وتقدمت الدبابات للإتصال بدبابات المحور. وبالمناسبة نذكر أن الجيش الثامن كان يحس نقصا وضعفا في دباباته وأنواعها حتى شهر يوليو، ولكن في أكتوبر لم يعد هناك فارق، فقد وصلت دبابات الكروسدور من بريطانيا، ودبابات جرانت وشرمان من أمريكا، وهذان النوعان يساويان أحسن الدبابات الألمانية الثقيلة، كما ظهر في المعركة.

في الأسبوع الأول من الهجوم ألقت قاذفات القنابل ما يقرب من ٨٠٠ طن من القنابل على قوات المحور في منطقة القتال ومطاراته الأمامية، ولذا كان لسلاح الجو أثر خطير في المعركة..

وقد لوحظت حقيقتان في هجوم الجيش الثامن: أولهما أن قواته المدرعة ندر أن هوجمت من الجو، والثانية أن ٥٥٠ طائرة معادية أسقطت أو اضطرت للهبوط، كما ذكرت البلاغات الرسمية.. وقد لعبت الطائرات دورا هاما في إحباط الهجمات المضادة أيضا.

ومضى أسبوع على ابتداء المعركة، وقد أخذت القوات البريطانية توسع الممر في المنطقة التي احتلتها، وحدثت معارك صغيرة في أمكنة مختلفة من الساحة الشمالية اشتركت فيها وحدات مدرعة من قوات الفريقين، ولكن القوات الإنجليزية احتفظت بالمنطقة التي استولت عليها في بداية

الهجوم، وأخذ الجيش الثامن يطهر حقول الألغام ببطء ويوسع الثغرات التي أحدثت في الاستحكامات، ويقترب شيئا فشيئا من الخط الذي يمكن عنده أن تعمل القوات المدرعة. وفي أثناء ذلك كانت قوات المحور تقوم بكرات متوالية اشتركت في مواجهتها وإحباطها القوات الجوية التي كانت تواصل ضغطها الرهيب وتضرب بشدة.

وفي ليل ٣٠ – ٣١ أكتوبر بدأ زحف البريطانيين وهجومهم الكبير، وقد بدأ ذلك بالستار المعهود من نيران المدفعية، وتم الزحف على مقربة من الساحل بنجاح لم يكن السبب فيه براعة الخطط التي وضعت ونفذت بدقة فحسب، ولكن جاء أيضا بسبب المفاجأة التكتيكية، فالفيلق العاشر المكون من فرقتين مدرعتين وفرقة مشاة نيوزلندية كان يتدرب خلف خطوط القتال وقبل نشوبه بمراحل، فجاء إلى الميدان في الساعة المناسبة موفور العدة كامل التأهب:

وفي فجر يوم ٢ نوفمبر تقدمت قوة إنجليزية مدرعة خلف الخطوط الألمانية، في حين كانت قوات مدرعة أخرى تضغط في الناحية الغربية. وبدأت معركة الدبابات في تل العقاقير، وكانت نقطة البداية والتحرك..

وقد عمد الألمان إلى توجيه هجمات مضادة وفي نقط مختلفة دون أن تنجح واحدة منها، وكان المشاة الإنجليز مستمرين في شق طريقهم بين حقول الألغام والمراكز الحصينة والفخاخ وغيرها من العقبات والعراقيل، وكان جنود المشاة في هجومهم مؤيدين بستار هائل من النيران، ومتى تم فتح بعض الطرق أو الثغرات تدفقت فيها الدبابات والوحدات الميكانيكية

لمقابلة وحدات العدو السريعة وقواته المدرعة.

وقد تقررت المعركة في الساحة الشمالية حيث أعقب الاختراق معركة الدبابات.. وفي الساحتين الوسطى والجنوبية كان القتال ثانويا وتابعا للعمليات في الساحة الشمالية، وقد أحدثت الضربة الأولى توزيع قوات المحور في ناحيتين لم يمكن الاتصال بينهما ثانية.

وقد قاتل روميل بشدة لرد الجيش الثامن من الطرف الغربي للثغرة التي فتحها المشاة جنوبي المنطقة الساحلية، وكان يؤيد قواته المصفحة بستار من النيران المضادة للدبابات، ولكن قوات الحلفاء تغلبت على مقاومته، وأسرت عددا كبيرا من الجنود. وقد قال بعض الأسرى إنهم كانوا في حالة ذهول من قنابل الطائرات والمدافع التي كانت تصبَ عليهم باستمرار أثناء الليل والنهار.

فالحدث الأول الفاصل في معركة العلمين كان اختراق المشاة، والحدث الثاني كان معركة الدبابات في العقاقير. وقد مهد الحدث الأول للثاني، وكان الثاني معززا للفوز الأول، وقد حدثت معركة الدبابات هذه يوم ٢ نوفمبر، وفي ذلك اليوم دفع الألمان كل قواتهم المدرعة حيث كانت القوة الإنجليزية قد أحدثت الاختراق، وثبتت في المنطقة، وتقدمت الدبابات الإنجليزية فدار قتال شاق عنيف، وحدثت خسائر فادحة في الناحيتين، وهزمت الدبابات الألمانية، وانتهت المعركة في ساعات، وفضَل روميل أن يسرع بالعودة، وأن ينقذ قواته ويخرج بها من براثن الفناء أو الأسر، وكانت هذه المهمة من أشق المهام العسكرية، وخصوصا في حالة فقد السيطرة

الجوية..

وقد وصفت ساحة العقاقير في رسائل المراسلين الحربيين بأنها " مقابر الدبابات " أو معرض المركبات المحطمة.

وفي ليل ٢ – ٣ نوفمبر احتل الإنجليز العقاقير، وقالت الأنباء إن ٢٦٠ دبابة للمحور قد وقعت في أيدينا أسيرة أو محطمة.

وبذلك حطمت معركة ٢ نوفمبر قوات المحور، وفي ذلك اليوم ظهرت علامات انسحابها على طول الخط. وفي يوم ٣ نوفمبر بدا ذلك حقيقة واضحة.

وفي الجنوب لم تستطع القوات الإيطالية أن تتراجع كثيرا ولاسيما جنود المشاة الذين جردوا من المركبات، فأخذت منهم أفواج الأسرى، كذلك توقفت الفرقة ١٦٤ الألمانية، ولم تستطع أن تتراجع، وتراجعت بقية القوات الألمانية تاركة خلفها نحو ثمانية آلاف أسير بين القتلى والجرحى، وقد قتل الجنرال فون ستوبي نائب روميل وأسر ريترفون توما قائد جيش إفريقيا الألماني، وأسر أيضا قائدا فرقتي برسكيا وترنتو الإيطاليتين. وقد قدرت التقارير الرسمية للقيادة البريطانية خسارة المحور ٧٥ ألف رجل وأكثر من ٥٠٠ دبابة و ١٠٠٠ مدفع على الأقل.

وبعد كسب معركة الدبابات بدأت المطاردة، وفي ٤ نوفمبر أذاعت قيادة الشرق الأوسط بلاغا جاء فيه: " تتقهقر قوات المحور في الصحراء الغربية بصفة نهائية بعد هجمات قواتنا البرية والجوية المتواصلة مدة اثنى عشر يوما وليلة، وتهاجم قواتنا البرية وقوات الحلفاء ليلا ونهارا، وفي غير

رحمة، طوابير العدو التي سادها الاضطراب وعدم النظام.

"وقد دمرنا حتى الآن أكثر من ٢٦٠ دبابة ألمانية وإيطالية، وغنمنا أو حطمنا ما لا يقل عن ٢٧٠ مدفعا، ومن المتعذر في المرحلة الحالية من القتال إحصاء الغنائم إحصاء تاما.

"وفي أثناء هذه الأعمال الحربية دمرت قواتنا الجوية – التي تحملت خسارة طفيفة – وأعطبت أكثر من ٣٠٠ طائرة في معارك جوية، وحطمت أو عطلت مثل هذا العدد على الأرض.

"وفي البحر أغرقت قواتنا البحرية والجوية ما حمولته خمسون ألف طن من السفن، وأتلفت مثل هذه الحمولة من السفن التي تحمل الإمدادات إلى شمال إفريقيا".

" ولا يزال الجيش الثامن يواصل زحفه إلى الأمام.. "

وقال البلاغ الإيطالي:

" إن معركة دامية عنيفة دارت عنيفة دارت في المنطقة الصحراوية الواقعة بين العلمين وفوكة بين دباباتنا ومشاتنا وبين الوحدات التي تماثلها من قوات العدو، وبعد مقاومات عنيفة غير عادية انسحبت الجيوش الإيطالية والألمانية غربا. وكانت خسائرنا فادحة ".

ووجه الجنرال مونتجمري إلى قواته رسالة جاء فيها:

" لقد استغرقت المعركة الحالية ١٢ يوما حتى الآن قاتلت فيها قواتنا قتالا عنيفا رائعا أنهك العدو، إن العدو الآن في قبضة أيدينا، وهو على

وشك الدمار، وإني أهيب بجميع القوات أن تواصل ضغطها على العدو وألا تتراخى في ذلك لحظة، لقد أضحى النصر النهائي قريب المنال.. "

وكان موقف روميل حرجا ومن المواقف التاريخية العنيفة التي وجهها قادة عظماء، فقد هزمت قواته بعد أن أخرجت من مراكزها الحصينة، وفقد مراكز تموينه الأمامية مع استهداف مواصلاته باستمرار لنيران الطائرات والمدفعية، وحدث ذلك في نهاية خط تموينه المديد، فكاد موقفه أن ينقلب كارثة نهائية وقد حاول تدمير كل ما يستطيع تدميره في الصحراء، وكان يضع كل عراقيل يجيدها لسد الطريق، وأبدى في فوكة مقاومات ناجحة ريثما اجتمع شمل قواته، وبدأ خطة الانسحاب، ثم تخلى عن فوكة يوم ٦ نوفمبر، واندفع غربا، وأعطته الأحوال الجوية، التي أعاقت التقدم، فرصة مناسبة لتنظيم قواته.

وفي ٨ نوفمبر استمر الزحف، وبلغ مرسى مطروح، واستولى الإنجليز على بقبق يوم ١٠، وفي اليوم التالي سقطت حلفاية والسلوم..

وهكذا كانت الحوادث تتطور بسرعة عاجلة، وارتدت قوات المحور إلى حدود مصر، وفي يوم ١٢ تم تنظيف الحدود المصرية وأسر آلاف من الإيطاليين، ووجد الجيش الثامن الطرق مملوءة باللوريات والمهمات التي دمرتها الطائرات.

أما الفرق الإيطالية في الجنوب، وقد كانت تتألف من ٦ فرق معظمها من المشاة، فقد كانت مطوقة، فلما وصل الجيش الثامن إلى الضبعة وفوكة، وقطع مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها، سلمت جميعا، كذلك تم تنظيف "

الجيوب "، وأخمدت جميع المقاومات في صحراء مصر قبل أن يتنصف شهر نوفمبر سنة ١٩٤٢.

وانتهت الحرب في مصر..

وبدأ القتال في برقة..

وقد كان لهذا الانتصار دويَ عظيم في العالم، وعدَ انتصارا تاريخيا حاسما، فاحتفلت به الإمبراطورية البريطانية، ودقت الأجراس في جميع أراضيها صباح ١٢ نوفمبر تحية لهذا الحدث العظيم.

وقال مستر تشرشل: "لقد قال السيد فنزيلوس إن إنجلترا في جميع حروبها تربح معركة واحدة، وهي المعركة الأخيرة. ويلوح لي أننا بدأنا هذه المرة مبكرين! فقد نال الجنرال ألكسندر ومعه قائده ومعاونة العظيم الجنرال مونتجمري انتصارا باهرا حاسما فيما ينبغي أن نسميه "معركة مصر"، فلقد هزم جيش روميل، وأصابه الاندحار، وحل به التلف إلى حد كبير كقوة مقاتلة.

"ونحن لم نخض هذه المعركة لنربح فيها مواقع أو مساحات واسعة من الأراضي الصحراوية، ولكن لنحقق فكرة واحدة وهي تحطيم قوة العدو المسلحة".

"إن النصر الذي أحرزناه قد بعث الأمل الكبير في نفوسنا بأنه سيكون نصرا حاسما نهائيا فيما يتعلق بالدفاع عن مصر، على أن هذه ليست النهاية، ولا هي بداية النهاية، ولكن ربما تكون نهاية البداية!".



فيلد مارشال سير هارولد ألكسندر

معركة الجانب الأقوى.. ما هي أسلحة النصر في الحروب الحديثة؟

يؤيد تاريخ الحرب نظرية النشوء والارتقاء، فكل حرب جديدة تجئ متميزة عن سابقاتها سواء في عدد المحاربين أو أنواع الأسلحة أو الخطط الاستراتيجية والتكتيكية، حتى إن الحرب السابقة تبدو موضع دهشة أو تندر، تماما كما يحدث عند زيارة المتاحف الحربية ومشاهدة أزيائها وأسلحتها ومركباتها التي كانت تقتل وتدمر وتثير الفزع وتسيل الدم أنهارا.. في سابق العصر والأوان!

ولعل أحفل مسارح الحرب بالطرائف والملاحظات الشائقة هي الصحراء، فقد كانت تعتبر في الماضي مانعا حربيا يصعب على الجيوش اجتيازه، لما كانت تلاقيه من قسوة التحرك وشدة الحرارة وقلة المياه وصعوبة الاختفاء، فكانت الحملة تتكون من الجمال والبغال والخيل وفناطيس المياه، وكانت البنادق المستعملة أو المدافع محدودة المجال صعبة التحرك، ولهذا كان التفكير في اجتياز الصحراء من أعمال الجسارة والمغامرة.

وكان نابليون يقول: "إن حدود الممالك إما أنهار كبيرة أو سلسلة جبال أو صحراء، وإن أقسى هذه العوائق التي تعوق تقدم أي جيش وأعسرها على التذليل هي الصحراء!"

ولم تستطع القوات التركية أو الإنجليزية في الحرب العظمى أن تقوم

بعمل حاسم خلال عدة سنوات بين الإسماعيلية وغزة قبل أن يتمكن الجنرال أللنبي من مد نهر من أنابيب المياه وخط حديدي وجيش عرمرم من البغال التي تحمل المؤن وتجر المدافع.

وإذا كانت الحرب العالمية الثانية قد جاءت بالدبابات والمصفحات التي تغزو الصحراء تظللها سحابة من الطائرات تكشف أوضاع العدو وتدك تجمعاته ومراكز تموينه، فقد بقيت صعوبات كثيرة، فالجيش – في العتاد – يقاتل بمعداته، أما في حرب الصحراء فإنه يقاتل أيضا بقطع الغيار وورش التصليح، ويقاتل بالوقود اللازم للعربات والدبابات.. ويقاتل أيضا بكفاية القيادة ومعنويات الجنود.

ولهذا فإن ونستون تشرشل قدر خطأ الألمان في محاولتهم طرد الإنجليز من وادي النيل.

عوامل النصر في العلمين:

لقد كانت معركة العلمين نهاية عمليات عسكرية واسعة المدى تحركت فيها قوات ضخمة بين السلوم إلى بنغازي وبالعكس، وجرت فيها عمليات التفاق وتطويق، فضلا عن تجارب المواقع الدفاعية، كما حدث في طبرق، فلما انتهت المعركة إلى العلمين كانت قد أحيطت بخلاصة التجارب وبأحدث ما طرأ على الحرب الصحراوية من تقدم من الأسلحة والوسائل، وامتازت معركة العلمين بعدة خصائص تجعل النصر فيها واضحا – حتى قبل بدئها – بأنه للجانب الأقوى.

حدثت معركة العلمين في منطقة محدودة بثلاثين ميلا من البحر

ومنخفض القطارة، والتقى الفريقان وجها لوجه، دون أية فرصة لحركات الالتفاف والمناورة على الأجناب، وتحدد الغرض تماما، فلم يعد السعي إلى كسب مواقع أو احتلال مساحات من الأرض، وإنما أصبح الغرض وضع أكبر كمية من النيران لقتل العدو وتدمير مركباته والإجهاز عليه نهائيا.

تحددت إذن معركة العلمين –قبل بدئها– شكلا وموضوعا، وتأكدت عوامل النصر، وصارت نتيجة المعركة رهنا بالآتي:

١– كفاية خطوط المواصلات وسلامتها.

٢– أثرنتائج الميادين الأخرى على هذه المعركة ماديا، ومعنويا.

٣– السيطرة الجوية.

٤– التفوق البحري.

٥– كمية النيران.

٦– الروح المعنوية.

نظرة إلى الفريقين قبل المعركة:

١– بالنسبة للمواصلات:

كانت خطوط مواصلات المحور قد بعدت ٣٠٠ ميل من طبرق، و ٧٠٠ ميل من قاعدتها المتقدمة في بنغازي، وأكثر من ألف ميل من طرابلس.وقد تعرضت هذه المواصلات المديدة لهجمات جوية مستمرة، كما كانت قواعدها الساحلية تحت رقابة وعدوان البحرية.

هذا في حين كانت مواصلات الجيش الثامن لا تمتد أكثر من مائة كيلو متر من قاعدته في وادي النيل، كذلك كان التفوق البحري والجوي لقوات الحلفاء.

٢- بالنسبة لميادين المعارك الأخرى:

تأثرت قوات المحور في العلمين بنتائج الحرب في الميادين الأخرى، فقد عجزت القيادة الألمانية العليا عن إمداد روميل بفرقة جديدة - وإن كانت منحته رتبة الفيلد مارشال كما قال متندرا وآسفا - وكان تموين قواته وبنزين دباباته معرضا لرقابة الغواصات والطائرات، وبذلك خسرت ألمانيا في العلمين معركة التموين.

٣- بالنسبة للتفوق الجوي:

كان التفوق الجوي في جانب قوات الجيش الثامن منذ فاتحة الحرب في شمال إفريقيا، وكان تعاون الجيش الثامن والقوات الجوية التي تشد أزره كتلة واحدة، فكلاهما - على حد قول روميل - يعمل لتنفيذ خطة واحدة، لا خطتين إحداهما للبر والأخرى للجو.

وعلى طول ميدان العمليات كانت الطائرات تدق مواقع المحور الخلفية وخطوط مواصلاته ونقط تموينه ومطاراته، ثم اشتد أثرها عند بدء معركة العلمين، وسجلت رقما قياسيا في عدد عملياتها التي اشتركت فيها قاذفات القنابل الخفيفة والمتوسطة وطائرات القتال، فأصابت عربات الذخيرة، ونسفت مستودعات الأسلحة، وسجلت إصابات بالغة في مدافع الميدان وسيارات النقل، وأشعلت الحرائق، ودمرت بعض مراكز الدفاع، كذلك

وجهت الطائرات من قاذفات القنابل همها إلى الأهداف المجاورة للثغرات التي فتحت في حقول الألغام لمساعدة القوات البرية على شقها.

أما نشاط المحور الجوي فقد كان محددا ودفاعيا، وقد انهزمت طائراته ولم يعد لها نفوذ في المعركة، ومنذ يوم ٢٣ أكتوبر أحرز السلاح الجوي البريطاني سيطرة تامة، فقام بحملات عنيفة وهجوم ساحق على مطارات المحور وخطوط مواصلاته ومواقع المدفعية ونقط تجمع القوات المدرعة والمشاة.

وفي الأسبوع الأول من الهجوم ألقت قاذفات القنابل ما يقرب من ٨٠٠ طن من القنابل على قوات المحور في منطقة القتال ومطاراته الأمامية، وأسقطت ٥٥٠ طائرة للمحور، في حين لم تستطع طائرات المحور أن تتدخل بأي تأثير ضد قوات الجيش الثامن، وبخاصة القوات المدرعة التي قامت بالهجوم الرئيسي، هذا فضلا عما عجزت عنه طائرات المحور من اكتشاف تحرك الفيلق العاشر الذي كان يستعد لخوض المعركة على بعد ٥٠ ميلا من العلمين!.

لقد قامت الطائرات بدور خطير في معركة العلمين، ويمكن استقراء ذلك من الفاتحة.. فإن البلاغ الذي أصدرته قيادة الشرق الأوسط عن الهجوم في العلمين ابتدأ بعبارة:

" هجم الجيش الثامن تؤيده قوة جوية كبيرة. ونشب قتال عنيف اشتركت فيه مقاتلات قسم الصحراء التابع لجيش الولايات المتحدة بالشرق الأوسط، وقامت في الوقت نفسه قوات الحلفاء البحرية بغارة على

مراكز المحور الساحلية عند مرسى مطروح.. ":

٤- بالنسبة للسيطرة البحرية:

كذلك تأثرت معركة العلمين بما كان للحلفاء من سيطرة بحرية لم يستطع أن يتوصل إليها الأسطول الإيطالي، على الرغم من استخدامه المياه الإقليمية التونسية، وكانت الغواصات التي تؤازر عمليات الجيش الثامن تعمل بنشاط كبير على طول الشاطئ لتعويق وتدمير الإمدادات من البحر، حتى إن أربعة أخماس المراكب التي خرجت من الموانئ الإيطالية أو اليونانية أغرقت أو ارتدت.

وفي خلال المعارك البرية قامت القوات البحرية البريطانية بإغارات متواصلة على المراكز الساحلية مستخدمة " سفن الجيب " وهي زوارق طوربيد سريعة صنعت حديثا في المصانع الأمريكية.

وجاء في البلاغ الذي أذاعته قيادة الشرق الأوسط يوم ٤ نوفمبر: " وفي البحر أغرقت قواتنا البحرية والجوية ما حمولته ٥٠ ألف طن من السفن، وأتلفت مثل هذه الحمولة من السفن التي تحمل الإمدادات إلى شمال إفريقيا ".

٥- التفوق في النيران:

كان تفوق الألمان في العمليات الصحراوية – السابقة لمعركة العلمين- مصدره الدبابات والمصفحات التي كانت تتقدم بسرعة وتعتمد على القدرة على المناورة، وبذلك كسبت معارك المجالات الواسعة، ولكن تغير الموقف عند العلمين، وتبدلت احتياجات النصر في المعركة، فأصبح التركيز الشديد

في ميزان المدفعية، والتركيز الشديد في نيران الدبابات، إلى جانب تركيز شديد من قنابل الطائرات.. أي أن الجانب الذي يملك نصيبا أكبر من النيران هو الذي سيحرق الجانب الآخر.

كانت مدافع الجيش الثامن تقف بفاصل ثلاثين ياردة بين كل مدفعين، وتضرب دفعات طويلة مستمرة، فلما انطلقت إشارة المعركة فتحت المدافع أفواهها مرة واحدة، فاندفع لهيب هائل من النيران، وأصبح الميدان مضيئا متوهجا مدويا أو شعلة رهيبة من نيران القنابل المتفجرة والأنوار الكاشفة والأغراض المشتعلة بالنيران من ساحل البحر إلى منخفض القطارة.

وهكذا كانت قوات الحلفاء متفوقة في قوة النيران برا وبحرا وجوا، ولهذا كانت معركة العلمين معروفة النتيجة قبل التقاء الأسلحة وابتداء الصدام.

٦- بالنسبة للقوى المعنوية:

تأثرت قوات المحور بما أصابها من إجهاد في معارك صحراوية شاسعة المجال، قاسية الجو، طويلة الأمد، وكانت مواصلاتها تمتد دون أن يصل إليها من الإمداد والمؤن ما يتناسب مع خطورة القتال الدائر ونتائجه.

كذلك تأثرت بما تناهي إلى أسماع الجنود من تطور في ميادين الحرب الأخرى، وبخاصة ما حدث في ستالينجراد، حيث توقف الهجوم الألماني، وأخذ ميزان هذه المعركة الفاصلة يميل إلى جانب روسيا، أو كما قال أحد المراقبين الحربيين: انتقلت المبادأة من يد إلى يد، وانتقل الحذاء من قدم إلى

قدم.

هذا في حين أن الجيش الثامن قد استقر في مأمن، وخلفه على مسافة قليلة قاعدة تموينه الضخمة في وادي النيل، وتغمره المؤن الآتية من كافة أنحاء البلاد المتحالفة في أمن من التهديد الجوي والبحري، وتشدَ أزره طائرات الولايات المتحدة التي بدأت تتدخل بتأثير شديد في المعركة الجوية.

وقبل العلمين كان القادة الألمان قد فقدوا القدرة على الابتسام، وزايلهم الأمل والإشراق، وكان روميل قد يئس من القيادة الإيطالية وأعوانه الذين كانوا يميلون إلى الاستسلام، ثم كفر بالقيادة العليا الألمانية وهتلر، وبدأ يستشعر الخطر الداهم المحدق بمصير الحرب عامة ومصير ألمانيا خاصة، وأدرك أن برلين صارت عاجزة عن القيادة الفنية للحرب، وسائرة في خطة لا تقوم على بصيرة.

وعندما تنهزم معنوية القائد، وتسوء معنويات الجنود، فإن نتيجة المعركة تتأكد قبل بدئها، وظهر ذلك واضحا في معركة العلمين، فقد كانت جميع الظروف مادية ومعنوية في جانب الجيش الثامن، ثم فصل في المعركة قوة النيران، فالجانب الأقوى هو الذي أحرز النصر.

الأحداث الفاصلة والدروس المستفادة

هل بقيت لمعركة العلمين أهميتها الفنية بعد مرور كل هذه السنوات ؟

فصلت معركة العلمين في مصير الحرب التي دارت رحاها في شمال أفريقيا بين إنجلترا وحلفائها من ناحية وبين دولتي المحور من الناحية الأخرى. وكان هدف الفريقين: إحراز السطرة على البحر المتوسط وقناة السويس. وبانتصار الحلفاء في العلمين تم تحرير شمال إفريقيا من قوات المحور، وتحقيق أغراض المعركة تماما.

كانت معركة العلمين أقوى معارك الحرب الإفريقية وآخر فصولها، ولكن أثرها لم يقف عند هذا الحد، فقد تحول الحلفاء من الهزيمة إلى النصر في كافة المعارك التي جرت بعد العلمين.

ومعركة فاصلة كهذه ينبغي ألا توضع في متحف التاريخ وحسب، وإنما ينبغي أن تظفر بما هي جديرة به من دراسات وبحوث ومراجعات في كل ناحية من نواحيها، وهذا هو ما حدث فعلا، فقد أصدرت المطابع عديدا من النشرات والكتب والمراجع الرسمية والإحصائية عن معركة العلمين، تناولت أحداثها الشهيرة، ووقائعها، وقادتها، وأسلحتها، وخططها..

وعلى الرغم من مرور ربع قرن على هذه المعركة استمرت في إغرائها الكتَاب والمعقبين الحربيين الذين يجدون في العلمين مادة مشعة تهدي إلى كثير من الظاهرات الحديثة والدروس المفيدة.. وهكذا بقيت لمعركة

العلمين أهميتها الفنية، برغم مرور كل هذه السنوات.

قيادة واحدة للبر والجو:

ولعل في مقدمة الظاهرات التي تميزت بها معركة العلمين ذلك التعاون الوثيق بين قوات البر والجو، فقد نقل مونتجمري قيادة الجيش الثامن بحيث تكون إلى جانب قيادة السلاح الجوي، وقال: " لا توجد قيادة للبر وقيادة للجو وإنما قيادة واحدة.. هذا هو سر قوتنا ".

الهدف هو تدمير العدو:

وقد تطور مفهوم الهدف في الحرب بما حدث في معركة العلمين، فلم يعد الغرض هو الحصول على مساحات شاسعة من الأرض، أو الاستيلاء على عدد من المدن والمواقع الهامة، وإنما أصبح الهدف تدمير قوات العدو الرئيسية وخطوط مواصلاته وتموينه ومراكز تجمعه، وإنهاء قدرته على مواصلة القتال.

أهمية القائد في المعركة:

كذلك كشفت معركة العلمين عن أهمية القائد، تأكيدا للقول المأثور: " كيفما يكن القائد يكن الجنود "، بل أثبتت هذه المعركة أيضا أهمية تغيير وتجديد القيادة في المرحلة الحاسمة، ووضح أن تغيير القيادة معناه خطط جديدة، وتصميمات جديدة، وروح جديدة.. وليس فقط مجرد تغيير رجل لأنه جانبه الصواب أو تخلى عنه التوفيق.

عندما عزى إلى الجنرال ريتشي التهاون والغياب عن أرض المعركة عند هجوم قوات المحور على طبرق، أسرع الجنرال أوكنلك فأخذ زمام الموقف،

وتولى القيادة، وأحدث ذلك هياجا صد ريتشي في مجلس العموم البريطاني، فوقف ونستون تشرشل وقال شيئا جديدا، وضع به تقليدا أو مبدأ لم يخطر ببال أحد من قبل، قال تشرشل:" لابد للحكومة أن تقف كالطود لتدفع عن القواد في ميادين القتال كل نقد أو لوم، ولابد أن نهيئ لهم فرصة أو أكثر من فرصة، لأنكم لا تجدون قوادا يستهدفون للاخطار ما لم يشعروا بأن من ورائهم حكومة قوية.. فلا يجدون ما يحملهم على النظر من فوق مناكبهم خوفا مما يقال عنهم في أرض الوطن ".

كذلك حدث عندما جاء دور المعركة الفاصلة – في العلمين – أن أجريت عدة تعديلات في القيادة، وتولى الجنرال "مونتجمري" قيادة الجيش الثامن. لم يكن هذا هو كل التغيير الذي حدث، بل تم تعيين قائد جديد للشرق الأوسط هو الجنرال ألكسندر، وحدث مع تغيير القيادة إجراءات عديدة استعدادا للمعركة بوصول الإمدادات السخية من الأسلحة والمعدات والمؤن إيذانا ببدء مرحلة جديدة حاسمة، واستقبل الجنود ذلك التغيير بالتفاؤل والاطمئنان والتصميم على إحراز النصر.

ولا ريب أن تغيير القيادة وإسنادها إلى شخصيات لامعة موثوق بها قد بعث في الجنود روحا جديدة وثقة بالغة.

الجديد في استحكامات الميدان:

عندما وقف الغريمان في العلمين، بعد أن حزما أمرهما للمعركة الحاسمة، كانت طبيعة الأرض تحكم الخطط، وتقرر أنواع الأسلحة، وتحكم بالفوز للفريق الذي يملك التفوق في النيران.

وكان كل فريق يوطد قدمه حتى لا يقتلعها الفريق الآخر، ثم يطور نفسه بعد ذلك للقيام بالهجوم متى وجد إليه سبيلا.

والشئ الذي جدَ على استحكامات الميدان في هذه الساحة هو استخدام الألغام البرية استخداما سريعا واسع النطاق. وقد حدثت بعض تجارب سابقة في استخدام الألغام وبخاصة عندما وقف الألمان أمام حقول الألغا البريطانية " في بير حكيم "، فعمد روميل إلى تطهير طريق في وسط حقول الألغام بواسطة قنابل المدافع وقنابل الطائرات، ثم دفع بالمهندسين بعد ذلك لتمهيد طريق تقدم المشاة والدبابات.

فلما انتهى الفريقان إلى مواقعهما في العلمين عمد كل منهما إلى بثَ الألغام بكميات كبيرة وبعمق، ولهذا توقفت المحاولات اليسيرة التي قام بها الفريقان، وعدَلت على إثر ذلك الخطة بعمليات تثبيت وتعميق حقول الألغام.

ووضح أن الهجوم لن يتيسر إلا على طريق مفتوح في ذلك السد المنيع من الألغام، فكانت خطة مونتجمري تبدأ بوابل قوى من قنابل الطائرات، وعاصفة مدمرة من نيران المدفعية، لتحطيم الدفاعات، يتبعها تقدم المشاة بمساعدة المهندسين، لتمهيد الطريق بين الألغام، في جين تستمر الطائرات من قاذفات القنابل في ضرب الأهداف المجاورة للثغرات التي فتحت لمساعدة القوات البرية على شق طريقها.

الترانزستور في المعركة:

من الظاهرات التي اتسمت بها معركة العلمين التطور الكبير الذي

حدث في طريقة الاتصال الميداني، أي الاتصال بين القائد وقواده المساعدين أو قواد الوحدات الفرعية، وأيضا بين القادة والجنود.

قديما كانت الجيوش تتحرك بإشارة واحدة من القائد، أو كان القائد يقف في بقعة مرتفعة فيلوح بقبعته، وعندها تهدر المدافع، ويدوَي الرصاص، ويندفع آلاف الجنود. وكان نابليون يشير في أجلك أوقات القتال بطرف أصبعه، فتندفع فرق الفرسان إلى ساحة الموت وهي تصيح: يحيا الإمبراطور!

وكثيرا ما كانت القوات تتحرك في الحرب دون أن تعرف الغرض إلا عندما تصبح أمامه، وكان نابليون لا يطلع أحدا على خطته، ولكنه ينفذها في اللحظات الأخيرة التي تسبق الاشتباك.

كان يضع في اعتباره أهمية السرية والأمن، ويخفي في نفسه عنصر المفاجأة.ومع تطور ظروف الحرب واتساع ميادينها، وتنوع أسلحتها، وتعدد مركباتها، صار لزاما على القائد أن يطلع معاونيه على الموقف مبكرا، ويشاورهم في الأمر، ويضع معهم الخطة، ثم يواليهم بالمعلومات والأوامر اليومية.

ولكن لم يعرف قبل العلمين أن القائد يرى واجبا عليه أن يحيط جميع رجاله بتفاصيل الموقف. لم يعد علم القادة الفرعيين بالخطة والأوامر أمرا ثانويا في نظر القيادة الحديثة، ولم تعد الأوامر المكتوبة هي الوسيلة المناسبة في الحروب الحديثة.

وبدأ الاتصال باللاسلكي..

ثم حدث تطور آخر لا يدع فاصلا بين القائد وجنوده: الترانزستور.. القائد يتكلم، والجنود –كل الجنود – يسمعون.

إنه عصر جديد، ومرحلة غاية في التقدم..

لم يعد الجندي مفصولا عن قيادته، ولا ممنوعا عن أخبار الوطن، ولا غريبا عما يجري في العالم من أحداث وأشياء.

ويؤكد بعض المراقبين لمجريات الحرب أن الذي كسب الحرب العالمية الثانية – أو في مقدمة أسلحة الفوز فيها – هو الراديو.

استراتيجية الدعاية:

لاريب أن الجانب السيكولوجي يعتبر كبير الأثر في الحرب. وما الحرب إلا تصارع القوى الهائلة طبيعية وأدبية، كما أن التأثير على الجنود، والتأثير على الشعوب تعتبر في مقدمة أهداف الحرب.إن تحطيم إرادة العدو هي الهدف الرئيسي.

وقد أدركت بريطانيا في الحرب العظمى –كما سيطر هذا الإدراك في الحرب الثانية – أن التغلب على ألمانيا بالقوة أمر صعب ومطلب مستحيل، وأنه لابد لقهرها من استخدام وسائل أخرى غير الوسائل المادية، ولهذا أنشئت مصلحة خاصة للدعاية ذات مسئوليات واختصاصات واعتمادات ضخمة يرأسها لورد بيفربروك ويديرها نورثكليف وكيبلنج وروذمير، الذين وضعوا خطة نشر الأكاذيب والأوهام، وتبشير الناس بالصلح، وحكم الشعوب نفسها بنفسها، وتخدير الأمم المتخلفة، وإحكام روابط الإخاء والتعاون بين أمم العالم.

ولم تستطع ألمانيا أن تتغلب على إنجلترا في معترك الحرب السيكولوجية، لأن إنجلترا حذقت الدهاء السياسي، ووقع الشعب الألماني فريسة الألفاظ الخادعة والدعاية الجوفاء، أو كما قال هندنبورج: " لقد شنَ العدو حربا ضد الأنظمة الألمانية، ووضع الخطط لتسميم رءوسنا ونفوسنا بهذه الحملة التي دبرها بعناية فائقة وبراعة مبتكرة ".

وقال لودوندورف جنرال ألمانيا: " إن الذي أصيب به الشعب الألماني أكثر من أزمة الجوع والنقص هو: الدعاية.. إن الأعداء الذين عجزوا عن مقاتلتنا بالسيف عمدوا إلى إضعاف ثقتنا بأنفسنا وقهر معنوياتنا..

" إن عدم حنكتنا السياسية أوقعتنا في شباك الشعارات الجوفاء والعبارات الدعائية التي تهزَ وتهزم النفوس ".

***

إن إنجلترا اشتهرت من قديم الزمان بقدرتها على بث الدسائس وإثارة الفتن وإضعاف ثقة الشعب بقيادته، وقد أقر رجالها بأنهم يستطيعون التفرقة والانقلابات كلما شاءوا.. ولقد أدركت إنجلترا أن التغلب على ألمانيا في ميدان الحرب متعذر، وأنه لابد من تقويض معنويات الجنود ومحاولة هدم دعاة الإمبراطورية بما في ذلك ركنها الركين: الجيش الألماني.

وقبل معركة العلمين كان قد استحوذ على الجنود الإنجليز رعب كالإعصار اسمه " روميل " كانوا يشعرون أنه فوق مستوى القادة، أو أن به مسَا من الجن يجعله قادرا على فعل أي شئ، ومن ذلك هزيمتهم في أي معترك، ولهذا كانوا يولون الفرار بسرعة غير مألوفة، ويتراجعون باضطراب

ورعب لأن شبح روميل كان يترصدهم ويتعقبهم.

وأحست القيادة الإنجليزية بهذا الانهزام المعنوي الفاجع، وراح أوكنلك يناشد ضباطه أو يؤكدوا للجنود أن روميل هو قائد ألماني عادي غير خارق للعادة، وأنه ليس شيطانا تتعذر هزيمته.

وصدرت نشرات عديدة تحمل هذا المعنى، وتحاول أن تقلل من أهمية روميل، وأن الجيش الثامن هو الذي سيقرر مصير المعركة..

واستمرت محاولات الدعاية تحمل إلى الجنود أنباء الإمدادات والمؤن والقيادة الجديدة وبشريات النصر، حتى استعاد الجنود ثقتهم وطردوا الوهم جانبا، ودخلوا المعركة بثقة وتفاؤل وروح هجومية.

النصر النهائي:

وقد وضحت حقيقة كبيرة في الحروب العالمية هي أن النصر ليس رهنا بمعركة واحدة، لأن هناك عدة ميادين في متعدد الأنحاء، بل في أكثر من قارة، هذا بالإضافة إلى معارك الأسلحة المختلفة كالبحرية والطيران.

إن النصر في معركة لا يعتبر انتصارا، لأنه قد يقابل بهزيمة في معركة أخرى، والاستيلاء على مساحات شاسعة من الأرض لا يكون في حد ذاته غرضا يستحق ما يبذل فيه من جهد، بل قد يتحول إل أعباء ومشكلات بالنسبة لإمتداد خطوط المواصلات وتعرض قوافل الإمداد والتموين لخطر التعرض البحري أو الجوي.

وقد كان بسمارك يقول: ليس المهم ما يقع في آسيا، إن القول الفصل

سيكون فيأوروبا.

فهل غيرت معركة العلمين من هذه الحقيقة ؟

لقد كانت معركة العلمين معركة كبيرة وفاصلة، على إثر تدمير فيلق ألمانيا الإفريقي والقوات الإيطالية المتعاونة معه، حتى لم تعد قادرة على أي قتال جديد، فعمدت إلى التغطية والانسحاب وقتال المؤخرة حتى تمت تصفية الموقف أخيرا في تونس.

أي أن العلمين حققت غرضها في القضاء على قوات المحور في شمال أفريقيا، وهذا فصل كبير، ولكن الرواية لم تتم فصولا.

فقد كان هناك قتال رهيب في اليابان، وقتال دموي فاجع في ستالينجراد..

وكان قد مضى على الحرب العالمية الثانية ثلاث سنوات..

ثلاث سنوات من الهزائم المتلاحقة للدول التي عرفت باسم " الحلفاء "، ولكنها كانت جميعا هزائم فرعية في بقاع متعددة في مختلف الميادين، فلم يكن النصر في إحداها شفيعا بإنهاء القتال أو مؤثرا إلى الحد الذي يستوجب التسليم.

على أن العلمين – كما قدمنا – كانت وقعة كبيرة، انتهت بوثوب قوات الحلفاء إلى الشاطئ الفرنسي وفتح الجبهة الثانية واستسلام إيطاليا.

أما في الشرق الأقصى فقد فصلت القنبلة الذرية – على هورشيما – في الحرب واستسلمت اليابان.

وبدأ القول الفصل – كما تنبأ بسمارك، أو كما أكد – في أوروبا.

كانت الجيوش الروسية تتقدم من الشرق دافعة أمامها فلول الجيش الألماني، في حين كانت الجيوش المتحالفة تتقدم من الغرب – كما تمضي السكين في الزبد – وكان الهدف برلين.

وربما كان النصر النهائي بلا معركة تتوافر لها طبيعة المعارك من استعدادات سابقة وخطط وعمليات مرسومة، بل يمكن القول بأن دخول القوات الروسية وقوات الحلفاء إلى برلين لم يكن موقعة حربية، وإنما كانت عملية تعزيز للمعارك السابقة، ومتابعة للقوات المندحرة، واستيلاء على المدينة التي لفظت أنفاسها..

وعندها.. انتهت الحرب، وارتفع علم النصر بعد ست سنوات من حرب صعبة المراس، متدفقة الدماء شديدة الويلات.

وقال الناس بعدها: لقد انتهت الحرب.

.. ولكن هذا هو ما يقال دائما في أعقاب كل حرب!

الفهرس